الخدمة الإجتماعية الناهضة

تحدي الصعاب يمكن من بلوغ الغايات

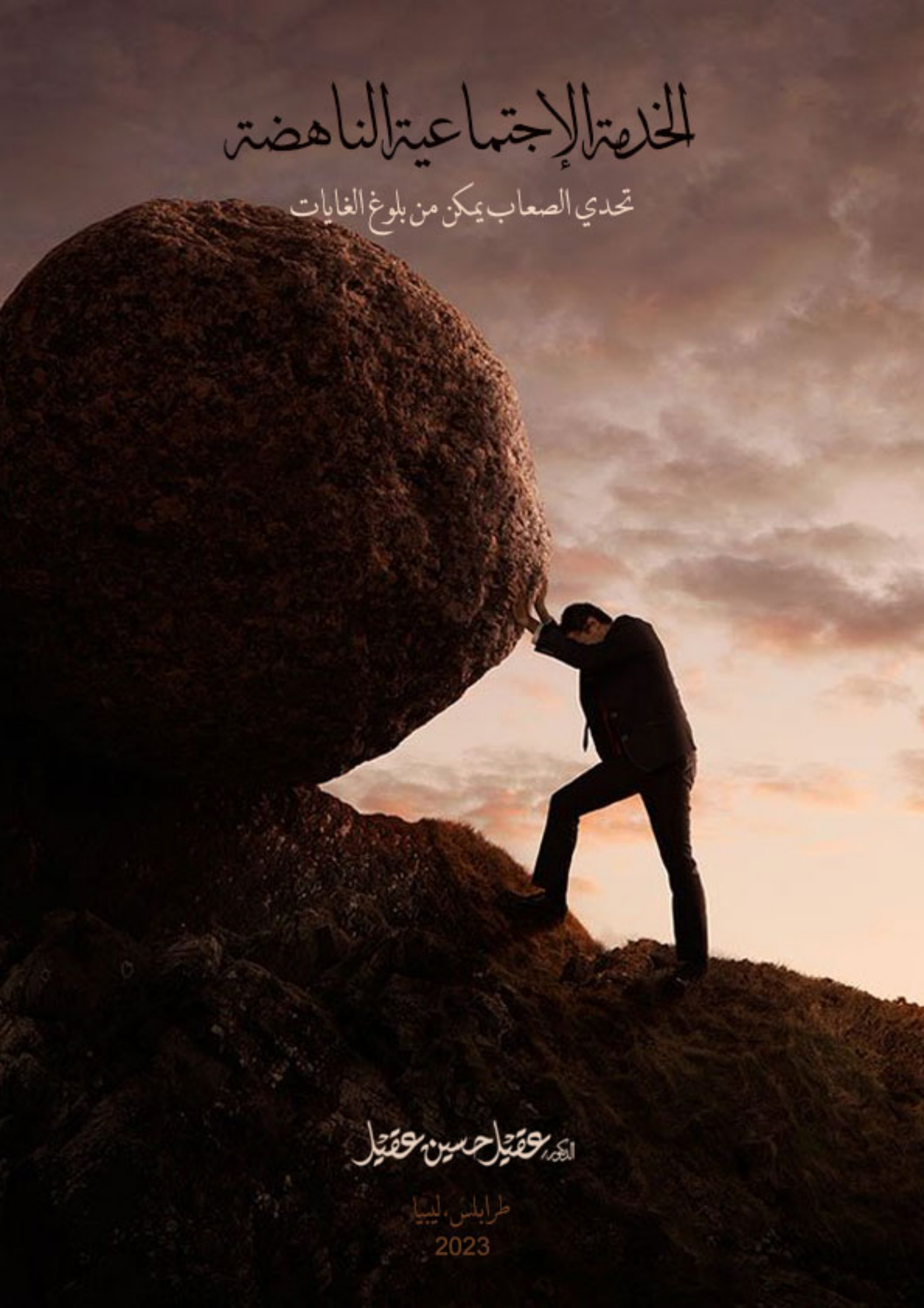

الدكتور عقيل حسين عقيل

طرابلس، ليبيا
2023

الخدمةُ الاجتماعيَّة النَّاهضة

(تحدّي الصِّعاب يُمكّن مِن بلوغِ الغايات)

أ د. عقيل حسين عقل

طرابلس ليبيا

2022م

(الفرقُ كبير بين مَن يستسلم إرادة للسُّكون ويركن إليه، ومن يتمدّد مع تمدّد الحركة؛ ذلك أنَّه الفرق الكبير بين من يرى الشّمس شروقًا وغروبًا ويضبط عقله ونفسه مع مواقيتها تذكُّرًا وتدبُّرًا وتفكُّرًا، ومن لا يراها إلَّا في أثناء الغروب ولا يفكِّرُ ولا يتحرَّك مع حركتها والأرض).

المحتويات

المقدِّمةُ 5

تحدّي الصِّعاب 7

تحدّي المخاطر 21

تحدّي الصّعاب يكشف المجهول 23

تحدّي الصِّعاب شجاعة..... 28

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة غائيَّة 35

شّخصيَّة الأخصائي الاجتماعي طّموحة 41

تحدّي الصّعاب بلوغ غايات..... 48

تحدّي الصّعاب مأمول من بعد غاية..... 56

الغاية نيل المأمول..... 63

تحدّي الصِّعاب يمكّن من الخوارق 71

التأهّب لتحدّي الصِّعاب 79

تحدّي الصِّعاب كسر قيد..... 92

تحدّى الصِّعاب تتجاوز الدُّونيَّة 108

الإصلاح صُنع المستقبل 116

الإصلاح تكاملي شمولي 136

صدر للمؤلّف 146
المؤلّفات..... 148
المؤلّف في سطور 170

المقدِّمةُ

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة مهنة تهتم بالفرد؛ كونه عنصرًا رئيسًا ولا تتكوَّن الجماعة إلَّا به، وتهتم بالجماعة؛ كونها المكوَّن الرَّئيس للترابط والمشاركة التي كلَّما اتسعت دائرتها شملت المجتمع مشاركة وتعونًا وتوافقًا ونهضة، وتهتم بالمجتمع كونه لبنة من لبنات البشريَّة، التي تتمركز على قيمة الإنسان أينما كان بغض النَّظر عن دينه وعرقه ولونه ولغوته ومعتقده ووطنه أو جنسيَّته؛ ذلك أنَّ الإنسان هو القيمة الرَّفيعة أينما حلّ ووجد.

ولأنَّ موضوع مؤلَّفنا هو: الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (تحدِّي الصِّعاب يمكِّن من بلوغ الغايات)؛ إذن لا مفرّ لنا من تبيان مفهوم قيمة التحدِّي، ومفهوم كلمة الصِّعاب، ومفهوم الغاية، ثمَّ من باب الأهميَّة لا بدَّ لنا من تبيان تلك العلاقة المتداخلة التي تربط بين متغيراتها التَّابعة والمستقلة، وتبيان أثر كل متغيرٍ على متغير آخر.

ومع أنَّها الصِّعاب؛ فهي التي لا تصمد في أثناء المواجهة مع المتحديين لها والصَّامدين.

ولهذا فلا إمكانيَّة أن تنجز الأهداف الخلَّاقة والنَّاهضة ما لم يقبل أصحابها بتحدِّي الصِّعاب؛ ذلك لأنَّ السُّبل أمام النُّهوض ليس ميسّرة ولا ممهدة، ولا خالية من الأشواك؛ ولهذا فمن لا يريد نهوضًا ليس له إلَّا القبول بالمسير على الأشواك وحاجاته ليس مشبعة.

وهكذا الحال بالنِّسبة إلى الغايات المرجو بلوغها؛ إذ لا إمكانيَّة لبلوغها ما لم يتمّ القبول بتحدِّي الصِّعاب؛ وذلك بالإصرار عملًا على إنجاز الأهداف أوَّلًا بأوَّل، وكأنَّها درجات سلالم؛ حيث لا يتم رفع القدم بأريحيَّة ووثوقًا إلَّا والصُّعود درجةٌ من بعد درجةٍ.

ولأنَّها الصِّعاب المراد تحديها فلا تحدِّي ناهضًا إلَّا عن دراية ومعرفة واستنارة تمكن من التمييز بين ما يجب وما لا يجب، بحيث يستطيع المتحدِّي من أن يضع أوَّل قدميه على أوَّل درجات السُّلم.

أ د. عقيل حسين عقيل

طرابلس ليبيا

2023م

تحدّي الصِّعاب

الصّعب ليس بالمستحيل ولا المعجز، ولأنَّه كذلك فهو لا يخرج عن دائرة الممكن المتوقَّع وغير المتوقَّع؛ ولأنَّه ممكنًا فَكسرُ قيده لا يكون إلَّا على الأيدي المتحدِّية للصِّعاب.

وفي المقابل فإنَّ مفهوم التحدِّي هو قبول المواجهة معها (مع الصَّعاب) بلا تردّد؛ ولذلك دائمًا الصِّعاب تهزم في كلّ المواجهات مع المتحدين لها إرادة وقرارًا مع وافر الاستعداد، والتهيؤ، والتَّأهب بغاية الاقدام على الفعل في ميادين المواجهة.

ومن هنا فتحدي مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة للصِّعاب هو تمدّد حيويّ يحفِّز العقل والنَّفس على الظّهور عملًا وسلوكًا، مما يجعل الطَّاقة المنبعثة في البدن ناهضة، وملفتة للمشاهدة والملاحظة من خلال قبول المواجهة مع المعيقات والصّعاب، وقبول تحدّيها حتى تُهزم وتُقهر.

ولهذا فالتحدّي بالنسبة إلى الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هو قرار مسبق مع وافر التهيؤ والإرادة، من أجل مستقبل أفضل، فيه تهزم الحاجة، ويتحقّق الإشباع المرضي والمحفّز على مزيدٍ من التحدّي الممكّن من بلوغ الغايات ونيل المأمولات.

ولذا فالتحدِّي يمكّن من المواجهة والمغالبة، حتى وإن كان مع المرض والألم، إنَّه يُدخِلُ المتحدّين ميادين المنافسة سواء أكانت ميادين سياسيَّة، أم اقتصاديَّة، أم اجتماعيَّة أم إنَّها علمًا وعملًا.

والسُّؤال:

لماذا التحدِّي؟

أقول:

ـ لأجل إنجاز الأهداف.

ـ لأجل تحقيق الأغراض.

ـ لأجل بلوغ الغايات.

ـ لأجل نيل المأمولات.

إذن فالتحدِّي يصنع المستقبل، ويمكّن من التفوّق، ويبني حضارة عندما يصبح التحدِّي عملًا مجتمعيًّا من أجل الأهم والأجود والأفيد والأنفع قيمةً.

وعليه: فإنَّ الصِّعاب تستوجب مزيدًا من الجهد لتحدِّيها بمهنيَّة وعلى أيدي الأخصائيين المهرة؛ كونها لا تكون مستحيلة التحقّق؛ فهي التي تواجه من يعمل ولا تواجه الكسالى، وهي التي لا تصمد أمام المتحدّين صبرًا وثباتًا مع بذل الجهد الممكّن من إنجاز الأهداف، أو تحقيق الأغراض، أو بلوغ الغايات ونيل المأمول أو الفوز به، ولا مستحيل في دائرة الممكن حتّى وإن كان الصّعب يملأ نصفها، ومن هنا وجب العمل على تذليل الصِّعاب كي تتيسّر الأمور ارتقاءً؛ فالصِّعاب إن لم تداهم ارتقاءً، لا بدَّ وأن تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لا يحمد عقباه

ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤًا، واستعدادًا، وتأهّبًا، وعملًا راقيًا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

ومع أنَّه لا صعب أمام مزيد من بذل الجهد ارتقاءً، فإنَّه لا ارتقاءً لخرق المستحيل، فمن المستحيل أن يكون الإنسان عالما بلا علم، وفي المقابل يمكن له أن يصبح عالما بالرّغم من الصِّعاب.

وعليه:

فالقاعدة: (تحدِّي الصِّعاب)، أمَّا الاستثناء: (الاستسلام لها).

ولأنّ الممكن ارتقاءً يُمكّن من تحدّي الصِّعاب، فَلِمَ لا يتهيأ الإنسان إليها قوَّة تدبّر حتى يقهرها إرادةً، ممّا يجعل التهيّؤ للعمل لا مكان فيه للتردّد في نفس المتهيئ لأدائه، ومن يتوقّع أنَّ أداء العمل ميسَّر فلا يستغرب إن واجهته صعاب تحول بينه وبين تنفيذه.

ولذا فالتهيّؤ لتحدي الصِّعاب يُمكّن من أداء العمل ارتقاءً؛ فكما تُرسم الخطط لتنفيذ العمل تحدّيًا تُرسم أيضًا لمقاومة المعيقين له؛ ولذلك فالذين يتهيّؤون لارتكاب أعمال التطرُّف بإرادة في معظم الأحيان هم يُقْدِمُون على تنفيذها دون تردّد، والذين يقاومون أعمال المتطرفين بإرادة هم الآخرون يقدمون على مقاومتهم ومقاتلهم بكلّ قوَّة، أمَّا أولئك الموظّفون الذين تُصدر لهم أوامر تنفيذ التطرُّف، أو أوامر مقاومته فلن يكونوا فاعلين، بل ستكون أيدهم على الزّناد مرتعشة، وهنا تكمن العلّة.

ومن تهيّأ واستعد لتحدي الصِّعاب وأقدم عليها فليس بالأمر الهين أن يتهيّأ لِما يُغيِّره عن الاستمرار فيها، إلّا إذا فكَّر وتذكَّر وقَبِلَ إرادة أنَّ المعلومة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، لا تُصحح إلّا بالمعلومة الحاملة للحُجَّة؛ ومن هنا فكلّما توفَّرت الأفكار والحُجج تجاه القضيَّة الخارجيَّة مثار الانتباه والاهتمام، كانت استجابة التهيّؤ للحدث أسرع، وكلّما تضاءلت الأفكار أو انعدمت، كانت عمليَّة التهيّؤ متباطئة لحين استجماع الأفكار عن الحدث الخارجي الذي يُودّ الوقوف عليه.

ولذا فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، وكذلك التهيّؤ للعمل يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب.

ومع أنَّ الممكن ارتقاءً لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد؛ فلا إمكانيَّة؛ حيث لا إرادة؛ ولذلك فإنَّ غياب الإرادة يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد؛ ومن ثمّ تقوى درجة الاستعداد المترتِّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدِّي الصِّعاب؛ أي: لا تحدٍّ بلا إرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ الارتقاء قمّة.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصِّعاب فعليك:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهميَّة على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنَّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحديًا.

. اصّمد فالصّعب لا يصمد، أي: عليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي له أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها، أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك صلحا وتصالحا وعفوا: {وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ}[1].

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، ولأنّها ممكنة فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض دائمًا أفضل من البعض، أي: دائمًا الواعون والصّابرون والمؤمنون بأنّ الحقّ يُحقّ يعملون على إحقاقه تحدّيا وقهرا للباطل.

[1] الأحزاب 25.

. الصّعب على علاقة بالباطل من حيث إنّه لا يصمد إذا ما حدثت معه المواجهة؛ ولهذا الصّعب يقهر والباطل يبطل، ولكن لا يكون ذلك إلّا على أيدي الصّامدين.

. اقبل بدفع الثمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد تجد نفسك منتجا، وفي المقابل إن استسلمت له فستجد نفسك متسولا مع المتسولين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحديا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

فالتأهّب لتحدّي الصِّعاب يؤجج في النَّفس حرارة الاندفاع تجاه الهدف دون خوف مع إصرار على الإنجاز، ومن يتأهّب للشيء عن عزيمة بعد تهيّؤ وإرادة واستعداد يستطيع في دائرة الممكن ارتقاءً أن يُنفِّد ما يشاء، وكيفما يشاء، ومتى ما يشاء في مشيئة الله تعالى.

ولأنَّ لكلّ فعل ردّة فعل، إذن: فمن يتأهّب لأداء الفعل الصّعب ارتقاءً لا بدَّ وأن يكون متأهّبا لما يترتّب عليه من ردّة فعل، وإلّا سيفاجأ بما هو مؤلم؛ ولهذا فعلى الأخصائيين الاجتماعيين اليقظة بغاية تنوير عقول

العملاء حتى يفوقوا من غفلتهم ويلتفتوا إلى ما يمكّن من النهوض وإحداث النُّقلة التي لا تكون إلَّا مترتّبة على القبول بتحدي للصِّعاب.

وحتى لا تحدث المفاجئات في كلّ مرّة؛ فأخذ الحيطة والحذر عند تحدّي الصِّعاب ضرورة لمن شاء أن يتدبّر أمره بلا عِلل، ولكن هذه ليست الغاية، بل الغاية أن تسود الحياة بين النَّاس بلا مغالبة، ولا هيمنة، ولا حرمان، ولا تمدّد على حساب الآخرين، ولا اتكالية على الغير، حتى تصبح الغاية هي تجاوز الحلّ المتجاوز للإصلاح وإن كان إصلاحا مساندا، ولذلك؛ فالغاية من بعد الحلّ بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ رفعة الشّأن، وعيش النّعيم، وهذه مع أنّها غايات، فإنَّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاءً بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات غاية بعد أمل.

ومن هنا، تعد الصِّعاب مجموعة من المعيقات التي لا يتمُّ تجاوزها إلّا بالإزاحة، أي: لا إمكانية لإنجاز الأهداف، وتحقيق الأغراض، وبلوغ الغايات، ونيل المأمولات ما لم تزاح العوائق من السبيل المؤدّي إلى ذلك.

ولأنّها عوائق؛ فهي قابلة لأن تزاح، ولأنّها قابلة للإزاحة، فلا داعي للانتظار، ومن يتأخّر عن إزاحتها في شبابه، سيجد نفسه متأخرا عمّن أزاحوا مثيلاتها وتقدّموا، والصِّعاب لا تخيف، بل المخيف عدم الإقدام على تحدّيها. ومع ذلك فالصِّعاب لا تواجه الكسالى، بل تواجه المتطلّعين

لصنع المستقبل، فالصِّعاب إن لم تداهم تحدٍّ، تداهم من لم يداهمها، وحتى لا يحدث ما لم يحمد عقباه ينبغي تحدّي الصِّعاب تهيؤا، واستعدادا، وتأهّبا، وعملًا راقيا تنجزه الإرادة والأمل لا يفارق.

فالتهيّؤ للقول الصّعب يؤدّي إلى الاستعداد لأنْ يقال بإرادة، والتهيّؤ للعمل المنتج يؤدّي إلى الاستعداد لأن يُفعل بعد تأهّب، ومن ثمّ فالتهيؤ لبلوغ المأمول يؤدّي إلى نيله.

ومع أنَّ الممكن ارتقاءً لا استحالة فيه، فإنَّه إن لم يعقب التهيؤ استعداد فلا إمكانية؛ ولذلك فإنّ غياب الأمل يغيّب كلّا من التهيؤ والاستعداد، ومن ثمّ، تقوى درجة الاستعداد المترتّبة على الإرادة والتهيّؤ بقوّتهما وتضعف بضعفهما وحينها لا إمكانية لتحدي الصِّعاب؛ أي: لا تحدّ بلا أمل وإرادة، ولا تهيؤ، ولا استعداد، وحتى وأن اجتمعت في دائرة الممكن تظلّ منقوصة ما لم يتمكّن الإنسان من التأهب لأداء العمل وبلوغ المأمول والفوز به.

وعليه:

إذا أردت تحدّى الصِّعاب أملًا فعليك بالآتي:

. أنْ لا تحصر التفكير في شؤونك أو شؤون الغير الذي تربطك به علاقة وأهميَّة على المتوقّع فقط، بل تجاوزه إلى ذلك غير المتوقّع حتى وإن كان صعبًا.

. تأكّد أنّ الصّعب لا يستطيع المقاومة إذا تحصّنت له متحديًا.

. أصْمد فالصّعب لا يصمد، وعليك أن تعرف أنّ ما يبدو صعبًا للبعض لا يبدو كذلك لدى البعض الآخر؛ ولهذا عليك بقبول التحدّي حتى تهزمه كما غيرك هزمه.

. الصّعب لا يزيد عن كونه حيويّة؛ فينبغي أن يواجه بها ولا يواجه بغيرها. أي: لا يمكنك أن تهزم خصما وأنت لم تمتلك ذات السّلاح الذي يمتلكه تقنية. ولكن عندما تمتلك ذات السّلاح؛ فليس له بدّ إلّا أن يقدّرك ويحترمك ويعترف بك مساويا له على كفّة العدالة.

. مواجهة الصّعب لم تكن مستحيلة، فَلِمَ لا يواجه إلّا من البعض؟

أقول:

لأنَّ البعض أفضل من البعض، أي: دائمًا أصحاب الآمال العريضة والواعون والصّابرون والمؤمنون يواجهون التحدي بتحدٍّ.

. قبل بدفع الثّمن جهدا ووقتا وإمكانات تنل أضعافها مكاسب وفوائد متى ما استسلم لك الصّعب قهرًا.

. تحدَّ الخوف الذي يقنعك كسلا أو يخالجك جبنا، فاعمل وابذل المزيد من الجهد، وفي المقابل إن استسلمت فستجد نفسك متسوّلا مع المتسوّلين على الأرصفة وبين الأزقة.

. أهّب نفسك للعمل تجد العمل بين يديك، وأهّب نفسك للتحدّي تجد نفسك متحديًا، وأهّب نفسك لمواجهة الصِّعاب تجد الصِّعاب مستسلمة.

ولذلك؛ فالغاية بعد معرفة الحلّ هي بلوغ المكانة الممكّنة من بلوغ الأمل رفعة، وعيش النّعيم، وهذه مع أنَّها غايات، لكنّها ستظل في دائرة الممكن ارتقاءً بين متوقّع وغير متوقّع، والعاملون عليها هم وحدهم يتهيؤون لها، ويستعدون إليها، ويتأهبون لتحدي الأمر الصّعب، ثمّ يفعلون ويعملون حتى يبلغوا الغايات ومن بعدها نيل المأمول. ولكن وفقًا لدائرة الممكن (المتوقّع وغير المتوقّع) كلّ شيء قابل لأن يتغير كلّما توافرت معطياته أو اشتراطاته والرّغبة من ورائهما حافزٌ ودافعٌ.

ولذلك فتَوفُر الرّغبة في دائرة الممكن المتوقّع يُسهِّل من عمليَّات الإنجاز، ويُسرّع من عمليَّات الإقدام ويحقّق نجاحًا رائعًا، أمّا في دائرة الممكن غير المتوقّع فقد لا يحقّق ذلك، فعلى سبيل المثال: الشّاب الذي ذهب إلى أحد حكماء الصّين ليتعلَّم منه سرّ النّجاح وسأله "هل تستطيع أن تذكر لي ما هو سرّ النجاح؟ فرد عليه الحكيم الصيني قائلا: "سرّ النّجاح هو الدّوافع" فسأله الشّاب ومن أين تأتي هذه الدّوافع؟ فردَّ عليه الحكيم "من رغباتك المشتعلة"، وباستغراب سأله: وكيف تكون عندنا رغبات مشتعلة؟ وهنا استأذن الحكيم الصّيني لعدّة دقائق وعاد ومعه وعاء كبير ملئ بالماء وطلب من الشّاب أن يقترب من وعاء الماء وينظر فيه،

فنظر الشّاب إلى الماء عن قرب وفجأة ضغط الحكيم بكلتا يديه على رأس الشّاب ووضعها داخل وعاء الماء ومرّت عدة ثوانٍ بدأ الشّاب يشعر بالاختناق، وبدأ يقاوم بشدّة حتى نجح في تخليص نفسه وإخراج رأسه من الماء ثم نظر إلى الحكيم وسأله بغضب: ما هذا الذي فعلته؟ فرد عليه: ما الذي تعلّمته من التجربة؟ فقال الشاب: لم أتعلم شيئا.

قال الحكيم: لا يا بني لقد تعلّمت الكثير؛ ففي الثواني الأولى أردت أن تُخلِّص نفسك من الماء، ولكن دوافعك لم تكن كافية لعمل ذلك، وبعد ذلك كنت دائمًا راغبا في تخليص نفسك فبدأت في التحرُّك والمقاومة ولكن ببطء حيث إن دوافعك لم تكن قد وصلت بعد لأعلى درجاتها، وأخيرا أصبح عندك الرّغبة المشتعلة لتخليص نفسك وعندئذ فقد نجحت.

ومن هنا وجب على الاخصائيين الاجتماعيين غرس الثِّقة في أنفس النزلاء والعملاء المهنيين، حتى يستمدوا القوَّة إن أردوا بلوغ المأمول، وإلّا سيكونون ضعفًاء ولا شيء لديهم إلّا الأمنيات التي لا يمكن أن تصنع لها مستقبلًا؛ ولهذا لا ينبغي أن نغفل عن:

. تهيئة الاستعدادات النَّفسيَّة والبدنيَّة والماليَّة لما هو متوقّع ومأمول ولما هو غير متوقّع حتى لا تحدث المفاجئة.

. غرس الثِّقة في النَّفس؛ حتى يتم التمكّن من تحدي الصِّعاب.

. تحديد الأدوار الواجب لعبها؛ لتحقيق الأهداف المحددة من قبل المجتمع أو مؤسساته أو هيئاته وجمعياته.

. غرس الثِّقة في نفس الفرد وفي القيم الاجتماعيَّة الموجبة.

. غرس الثِّقة في أنفس الجماعة من خلال المشاركة الفعّالة في إعداد البرامج والمشاركة في تنفيذها والقيام بها.

. تنمية قدرات أفراد الشعب كلّه وغرس الثِّقة بينهم؛ حتى يتمكّنوا من تحقيق أهدافهم الاجتماعيَّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة والثَّقافية والنَّفسيَّة والذَّوقيَّة وفقًا للخطط والاستراتيجيَّات المرسومة.

. تهيئة استعداد الأفراد والجماعات لما يجب والتطلّع بهم إلى ما يُحدث النُّقلة.

. غرس الثِّقة في أفراد الشعب من خلال مؤسّسات الدّولة، دون الإغفال عن مشاورتهم فيما يتعلّق بهم من أمر، وأخذ وجهات نظرهم تجاه المستقبل الذي يأملونه أو يتطلعون إليه.

. تنمية قدرات الأفراد والجماعات مع مراعاة أصحاب الحاجات الخاصّة وتأهيلهم وتدريبهم ورعايتهم مع دراسة حالاتهم وتوظيفهم كونهم مفردة من مفردات المجتمع المستهدف صُنع مستقبله.

. تقوية الإمكانات المادّية وتدعيمها بالمعلومة والمعرفة الواسعة المساندة للتطوّر والتقدّم واستثمارها فيما يفيد.

. تحفيز أفراد الشعب على المشاركة الفعّالة، ودفع مؤسّسات الدّولة إلى الإقدام على ما يفيد وينفع خدمة وإنتاجًا.

. استثمار الإمكانات البشريَّة والمادّية في تحسين أحوال الأفراد والجماعات وتحسين أحوال البيئة.

. إشعار أفراد المجتمع بأهميَّة المشاركة الاجتماعيَّة في اتخاذ القرارات وتنفيذها وتقويمها من الانحراف.

. حث الأفراد على الاستفادة من الإمكانات المتاحة والبحث عن إمكانات أخرى أو إمكانات بديلة في حالة نقص الإمكانات أو شُحِّها، واستثمار ما يتوفّر منها إلى أقصى درجة ممكنة، تحقيقا لعمليَّات التغيير الموجب.

. تأكيد أهميَّة المشاركة ودورها في بناء الثِّقة بتحريض الأفراد على ممارستها من أجل تأكيد منطق (النّحن) المستوعب للأنا والآخر حتى تتضاعف القوَّة ويزداد العطاء وتعم المكاسب ويتم نيل المأمولات.

. دفع الأفراد والجماعات وهيئات الدولة ومؤسّساتها إلى استيعاب الجديد والعمل على تطويره.

. الإصرار والتصميم على إزالة الشكّوك والمخاوف وكلّ ما من شأنه أن يجعل المواطن في حالة خوف أو قلق بأمل يحفّزه ويدفعه إلى المشاركة في صناعة المستقبل.

. تمكين الأفراد من إدارة شؤون حياتهم بإرادتهم الحرّة دون أيّ إكراه أو إجبار وغرس الثِّقة في أنفسهم وفي مقدرتهم على إدارة ما يتعلّق بهم من أمر مع إرشادهم لِما يفيد عمليَّات الاستثمار للإمكانات المتاحة، وتعريفهم بأساليب البحث عن البدائل كلّما دعت الضّرورة لذلك؛ ولهذا فكلّ ما لم يكن مستحيلا ممكنٌ، وكلّ مستحيل مثبت وهو الذي نعلمه ولا نعرفه، فعلى سبيل المثال:

. نعلم يوم الحساب ولكنّنا لا نعرفه ولا يمكن لنا ذلك.

. الشمس تشرق وتغرب ولن نستطيع تغيير أمرها أو تبديله.

. القمر تعكس الضوء ولن نستطيع إخفاء الضوء عنها.

. الموتى لا يعودون إلى الحياة ولن نستطيع إيقاف الموت عنّا.

. المستحيل مع أنّه موجود ولكنّه لا ينفى كغيره من الموجودات في دائرة الممكن، فعلى سبيل المثال: عندما يكون اليوم السبت فإنَّ الأحد سيأتي غدا وفقًا لعلمنا، ولكن عندما يقع المستحيل فقد لا يأتي الأحد واليوم الغد الذي يحتويه. إنّه الشيء الخارج عن دائرة الممكن وفق حساباتنا وقدراتنا واستعداداتنا وطاقاتنا؛ ولذا فكل من الممكن والمستحل يحدثان وفقًا لتوقعاتنا، ولكن الممكن يتحقّق بأيدينا والمستحيل ما لم تستطع أيدينا

على فعله، أي: المستحيل نتوقّعه ولكن وقوعه من خارجنا، أمّا الممكن فنتوقعه ويحدث داخلنا[2].

تحدّي المخاطر:

التحدّي لا يكون إلّا للمخاطر وما يخيف؛ وذلك بغاية بلوغ ما يطمئن ونيل المأمول؛ ولهذا فالكلمةُ مهما عظمت إن لم تتجسّد في سلوكٍ يدفع إلى العمل المنتج تظلّ كلمة في حاجة للحياة، ولا حياة لها إلّا العمل، ولكن أيّ عمل؟ إنّه العمل ارتقاءً (بناءً وإصلاحًا وإعمارًا مع ارتقاء الأخلاق قمّة)، والعمل ارتقاءً هو إنشاء الشيء من الشيءٍ، كما أنشأ نوح عليه السّلام سفينة النّجاة من جذوع الشّجر إبداعا، والفضائل والقيم من ورائها إنقاذا.

ولأنَّ الأمم والشّعوب التي تقدّمت لم تتقدّم إلّا بالعمل؛ فَلِمَ لا يقدِم المتأخّرون عنهم على العمل الممكّن من طي الهوة بينهم والمتقدِّمين الذين ارتقوا علمًا وتقنيةً وحُسن إدارة؟

ولأنّ التحدّي لا يكون إلّا عملًا؛ فينبغي لمن يرغب التحدّي ارتقاءً أن يَقدِم على العمل النّافع، وينبغي أن يجوِّد منتجاته؛ لتكون منافسة لمنتجات الغير؛ لأنّ المنتجات غير المنافسة لن تجد لها مكانا في أسواق المستهلكين.

[2] عقيل حسين عقيل، الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 14.

وهذا يعني: إنْ لم تَقدِم الشّعوب وبكلّ طاقاتها على العمل المنتج والمبدع فستظل متخلّفة وتابعة لمن يمتلك القوّة المنتجة ويسيطر على السّوق، وقد تصبح مدانة بما لم تستطع تسديده، وهنا ستجد نفسها أمام خيارات قد لا تكون محمودة، ويومها لن ينفع الندم.

فالعمل تحدٍّ يجعل المكانة لمن لم تكن لهم مكانة، فمن رغب مكانة ويأمل تبوأها فعليه بالعمل المنتج ويحرّض من تربطهم به علاقة على العمل تحدٍّ؛ لتكون المكانة للجميع: {قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ}[3].

العمل تحدٍّ يصعد بأصحابه من تحت الصّفر إلى الصفر تحدٍ دون أن يتوقّف عنده أملًا، بل يتجاوزه بالعمل حتى يصعد إلى القمر، ثم يتجاوز القمر لكونه لم يكن النهاية، فيغزو الفضاء اكتشافا، وهو في سعيه لم ييأس ارتقاءً من بلوغ ما هو أعظم، ولا غاية له من وراء ذلك إلّا بلوغ الجنّة، إنّها رسالة الأنبيّاء عليهم الصّلاة والسّلام؛ فمن أخذ بها ارتقاءً أخذ بما يجب الأخذ به، ومن لم يأخذ بها فلن يبلغ التقدّم والارتقاء المحقّق لإشباع الحاجات المتطوّرة والمتنوّعة، وبناء الحضارة التي ترتقي بصُنّاعها إلى صناعة الأمجاد.

ومع أنَّ الإنسان خُلق على الارتقاء خَلقا، فإنَّه لم يحافظ على ارتقائه؛ فأُهبط به من علوٍ إلى دنيا، ومع ذلك عيناه لم تفارق السّماء،

[3] الأنعام 135.

ظلّت تبصر هناك بأمل العودة، وهذا الأمر هو الذي حفّزه على العمل ودفعه إليه تحدٍّ.

إنَّ الإنسان لو لم يكن مؤهلا للتحدّي، ما فكّر وتدبّر حتّى تمكّن من اقتناص الفكرة التي مكنته من غزو الفضاء وهو يأمل في المزيد ارتقاءً، ولأنّ حاجات الإنسان متنوّعة ومتطوّرة؛ فهي إن لم تواكب من قِبله بالعمل تحدٍّ تصبح ضاغطة عليه ألما شديدا فعليه بالعمل وتحدّي الصِّعاب، ولا يخش شيئا سوى الحقّ الذي يمكّنه من التقدّم والنّهوض وتحقيق الرّفعة والمكانة قمّة4.

تحدّي الصّعاب يكشف المجهول:

الصِّعاب دائمًا تحتاج إلى جهود جادّة وحيويَّة متمرِّدة على السُّكون والجمود عند نقطة معينة أو موقف معين، ولذا فمن يريد المزيد المعرفي ليس له إلَّا المزيد من البحث وقبول تحدّي الصِّعاب، سواء أكانت صعاب ظروف معينة أو صعاب إمكانات، أو صعاب تكاتف جهود، أو صعاب تنقُّل، أو غيرها من الصِّعاب المعيقة للحركة تجاه بلوغ الغايات العظيمة.

ولذا فبذل الجهود وفقًا لأهداف مرجوة، يُمكِّن من تحدِّي الصِّعاب وبلوغ الغايات التي من بعدها يتم نيل المأمولات.

---

[4] عقيل حسين عقيل، خريف السلطان (الرحيل المتوقع وغير المتوقع) شركة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 175 . 181.

أمَّا المجهول بالنسبة إلى مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة فهو الذي لم يتم بلوغه بعد، ولهذا تصاغ له الفروض أو التساؤلات ثمَّ ترسم له الخطط القابلة للتنفيذ؛ ومن هنا فالمجهول هو ما لم يكتشف بعد، أو لم يتمّ التعرّف عليه على الرّغم من وجوده؛ ومن هنا نعرف أنَّ كلّ ما تمّ التعرف عليه، كان مجهولا؛ ولهذا فلو لم يكن المجهول موجودًا ما كانت الإمكانيَّة متاحة لمعرفته.

إذن فالمجهول هو ما لم يكن معلوما بعد، ممّا يستوجب البحث من أجل كشفه والتعرّف عليه؛ ليكون إضافة جديدة للمعارف والعلوم السّابقة، فينبغي للبحّاث في ميادين الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة إنْ أرادوا معرفة المجهول، أن يصوغوا له تساؤلات، فالتساؤلات تقود إلى معرفة المجهول في دائرة الممكن.

أمَّا البحّاث الذين يعتمدون على صياغة الفروض العلميَّة فلن يتمكّنوا من معرفة المجهول، بل سيتمكنون من معرفة النّصف المتبقي من المعرفة المتوفّرة لديهم، فالفروض وأن عظمت نتائجها لا تصاغ إلّا ونصف المعلومة غير مجهول، وللضّرورة هم يبحثون بهدف معرفة ما يتمّم نصف ما لديهم من علمٍ أو معرفةٍ.

أمَّا التساؤلات فهي أسلوب بحثي معمّق يمكّن أصحابه من معرفة الجديد المجهول: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ

كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}[5] فقوله: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ!) هو تساؤل، ولم يكن سؤالا، ولم يكن استفسارا؛ ذلك لأنّ السّؤال دائما يلاحق إجابة سابقة عليه، بهدف إعادتها ثانية أو أكثر من ذلك، وكذلك الاستفسار لا يكون إلّا عابرا ومن العموم، أمّا التساؤل فهو يستوجب بحثا علميّا وتقصٍّ دقيقٍ من أجل معرفة المجهول.

ولأنّ المشركين يتساءلون عن المجهول؛ فكانت المعلومة من العليم، أنّ ما تختلفون فيه، هو: النبأ العظيم الذي يتنزّل تنزيلا، أي: إنّ المشركين كانوا يعتقدوا أنّ ما جاء به محمّد عليه الصّلاة والسّلام لا يمكن أن يكون منه، وهنا كانت علامات الاستغراب تدور في أنفسهم كما تدور بينهم، وهم يتساءلون؛ فأنزل الله المعلومة حُجّة: (عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ)، وستكون الشواهد على ذلك متوالية، وسيعلم الكفار بذلك شواهد دالة على أنّه الحقّ المنزّل، (كَلَّا سَيَعْلَمُونَ). أي: إنّ المعجز إن تمّ الاستفسار عنه فلا يبلغ إلّا تنزيلا، أمّا الممكن فلا يبلغ إلّا بحثا معمّقًا.

ومن منطلق تحدّي الصِّعاب يجب تقدير الشّطحات العلميَّة؛ فهي في دائرة الممكن قد تؤدّي إلى معرفة المجهول، أمّا بالنّسبة إلى ما هو مستحيل فالشّطحات عندما تكون موضوعيَّة تمكّن من معرفته وإن قصرت عن معرفة الكيفيَّة التي هو عليها، ولكن عندما تكون الشّطحات

[5] النبأ 1 . 5.

غير موضوعيَّة؛ فهي بلا شكّ ستزيد الهوة اتساعا بين ما هو مستحيل، وما ينبغي للإنسان أن يتمكّن من معرفته وإدراكه.

ولذلك فالتّطلُّع وتحدّي الصِّعاب يُمكّنان البحَّاث في كل الميادين العلميّة وبخاصَّة مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة من استقراء المستقبل وصناعته، ثمّ يمكّنان من تجاوزه ارتقاء؛ ومن ثمّ إذا أردنا معرفة المستحيل وبلوغه استحالة فلا ينبغي لنا أن نضع إشارة قفّ أمام التفكير العلمي لبني آدم، بل ينبغي لنا أن نفكّر فيما نفكّر فيه حتى ننجزه عملًا متحقّقًا أمام المستحيل وآفاقه البعيدة، والذي بوجوده بعيدًا عنّا يفسح لعقولنا مجالات التفكير فيه، والتمدّد تجاهه بلا موانع؛ فينبغي أن نفكّر في كلّ شيء، وبكلّ حرّية مقدّرة، حتى نعجز، وحينها نعرفه مستحيلًا؛ ولذا فلا مستحيل قبل العجز، ومن ثمّ وجب البحث حتى بلوغ العجز الممكّن من معرفة المستحيل عن قرب؛ ولذلك خُلقنا.

ولأنّنا خُلقنا لذلك؛ فينبغي لنا أن نعمل، والمستحيل نصب أعيُننا، حتى ندركه عجزًا، وحينها ندرك إنَّ الارتقاء إليه يمدّنا بالثِّقة؛ حيث كلّ شيء ممكن، حتى وإن كان صعب وغير متوقّع.

ولأنّه المستحيل؛ فهو لا يعيق العمل ارتقاء، بل الذي يُعيق العمل عن النّهوض وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيَّة الأخلاق وسُفليَّة التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني والذَّوقي.

ولكن لأنّ الارتقاء والدونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرا وتدبّرًا وتفكّرًا؛ فهما بيد الإنسان مطلبًا ورغبةً واختيارًا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى تحدّي الصِّعاب وإحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاء.

وعليه:

. التعرّف على المجهول يزيد المؤمن ثقة وإيمانًا بأنّه لم يؤت من العلم إلّا قليلًا.

. البحث عن المجهول يفتح آفاقًا واسعةً أمام المعارف الإنسانيَّة وينمّي الذاكرة ويحفّزها على المزيد.

. الانطلاق من المعلوم بحثا علميًا يمكّن البحاث من إضافة ما كان مجهولًا بالنّسبة إليهم.

. التعرّف على المجهول ليس بتعرّف على مفقود، بل هو التعرّف على الممكن الذي لم يسبق وجوده معرفة من قبل.

. التعرّف على المجهول ممكنٌ؛ فأسع حتى يصبح على يديك إضافة جديدة.

. البحث العلمي يكتشف المجهول ويضيفه إلى المعرفة جديدًا؛ فابحث حتى تكتشف المجهول.

. التعرّف على المجهول يستوجب صياغة تساؤلات فعليك بها صياغة.

. الشّطحات العلميَّة تؤدّي إلى الاكتشاف العلمي فلا تُقولب عقلك وفكّرك ولا تقبل بوضع إشارة قف أمامك في أثناء قيامك بالبحث العلمي.

. فكّر فيما هو غير متاح حتى يصبح معلوما.

. ثق أنّ وراء كلّ مجهول كمّ كبير من المجهولات؛ فلا تقنط.

تحدّي الصِّعاب شجاعة:

مع أنَّ مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة مهنة إنسانيَّة ومرتكزها القيم الخيِّرة والأخلاق الحميدة فإنَّ تحدِّي الصِّعاب لا يكون إلَّا من بعد تحدِّي الخوف الذي لا يكون إلَّا من بعد الف حساب؛ ذلك لأنَّ الخوف لا يصنع المستقبل إلّا إذا توافرت الشَّجاعة التي هي تصميم على الإقدام بعد حسابات موضوعيَّة، ولكن إنْ تمَّ التخلّي عن الإقدام بعدما توافرت معطياته الموضوعيَّة، تُصبح الصفة السَّائدة هي الجبن، وفي مقابل ذلك عندما يكون الإقدام عن غير موضوعيَّة، تُصبح الصفة السَّائدة هي التهوّر، فالشَّجاعة تكون حيث لا يكون الظلم، والتهوّر قد يكون والظلم معا، فالشَّجاعة عقباها يُحمد، والجُبن عقباه يُذمّ، والتهوّر أصحابه يلامون، والشَّجاعة قد تؤدّي إلى الإقدام وقد تؤدّي إلى الانسحاب

وكذلك قد تؤدّي إلى الإحجام؛ فالمتّصفون بها لا يقدمون إلّا على ما يجب الإقدام عليه، وقد ينسحبون إذا عرفوا أنّ الإقدام في مرحلة من مراحله سيؤدّي إلى التهلكة، وقد يحجمون عن وعي لمعرفتهم بما يجب؛ ولذا فالإقدام والانسحاب والإحجام لا تتمّ إلّا بعد معرفة واعية بها يسترشد العقل.

ولسائلٍ أن يسأل:

هل الشَّجاعة مواجهة الخوف؟

أقول:

لا شجاعة إلّا والخوف قوَّة من ورائها يُحفّز على الإقدام، فلولا الخوف ما كانت الشَّجاعة، ولا مرشد للشجاعة إلى غايتها إلّا الخوف؛ ولذا ستكون الشَّجاعة ضالة لطريقها ما لم يرشدها الخوف إلى الأهداف والغايات التي تستوجب الإنجاز والبلوغ.

إذن: لا يمكن أن تكون الأنفس ممتلئة شجاعةً إن لم يكن الخوف قوَّة إثارتها، ومرشدها تجاه ما يجب أن يُنجز من أهداف وغايات عظيمة، فالخوف لا يكون إلّا حيث تكون المخاطر استقراءً ومشاهدة واستطلاعا، فبه العقل يُدرِك ما يجب وما لا يجب، وبه يتمّ الاسترشاد الموضوعي إقداما أو انسحابا أو إحجاما.

ولأنّه لا شجاعة إلّا والخوف من ورائها، إذن: كلّما اشتدّ الخوف ازدادت الشَّجاعة شدّة، وكلّما انفرج الخوف انفرجت الشَّجاعة من شدّتها؛ ولذا فالعلاقة لا تكون إلّا تكامليَّة بين الخوف والشَّجاعة. أمّا العلاقة بينها والجُبن فهي علاقة تناقض؛ فحيث ما يحلَّ الجبن تغيب الشَّجاعة؛ فالجبن خلاف الخوف، من حيث كون الجبن مانعا للإقدام والانسحاب الموضوعيين، والخوف محفّز عليهما ومرشد إليهما تجاه ما يجب، فهو المنبّه على مكامن الخطر وبؤر الفساد، لأجل القضاء عليها وتفادي مؤثراتها السلبية، وما يترتّب عليها من مظالم.

فالخوف مُنبّه فطري للعقل كي يتدارك الأمر قبل وقوع الكارثة؛ ولهذا فهو يؤدّي إلى أخذ الحيطة والحذر كلّما توافرت الشَّجاعة، وفي مقابل ذلك لا يؤدّي الجبن إلى أخذها.

والشَّجاعة موضوعيًّا لا تكون ظاهرة إلّا في حُسن تصرّف الفعل، ولا علاقة لها بتلك العضلات المفتولة لدى البعض، فالكثير منهم متهوّرون وبعضهم جبناء وبدون شكّ منهم العقلاء (الشجعان)؛ فالشَّجاعة في الفكرة والرأي المترتّب عليها والقرار المنفّذ لها. أمّا التهوّر الاستعراضي فلا يُؤدِّي بأصحابه إلّا للتهلكة أو الخسارة في أسواق المنافسة الحرّة، فمن يتّخذ القرار الصّعب في الظرف الصّعب عن حكمة يوصف شجاعا، ومن يتقدّم لفك الفتيل قبل الانفجار المؤدّي إلى التهلكة يوصف شجاعًا،

ومن يتبيّن خطورة ذلك عن معرفة واعية ويمتنع عن فكّه وهو قادر يوصف جبانا.

وعليه فالشَّجاعة قوَّة عقليَّة (تفكُّر وتدبُّر) تُقدِّم أعمال الخير وأفعاله الحِسان، وتُسهِم في صناعة التَّاريخ وتَرسيخ الهويّة، وأصحابها يقبلون دفع الثمن مقابل جزاءٍ إنساني في مرضاة النَّفس والخالق تعالى.

والفرق كبير بين الشَّجاعة والتهوّر؛ فالشَّجاعة موضوعيًّا لا تكون إلّا بحسابات الخوف، أمّا التهور والجبن معا فلا حِسابات في قاموسهما للخوف الموضوعي؛ ممّا يجعلهما يوقعان بأصحابهما في أوّل المحاذير التي لو كان للخوف مكانه في قاموسهما لتمّ تفاديها.

الشَّجاعة لا تتحقّق إلّا عن رويّة، وعاقبتها السلامة الممكِّنة من بلوغ السكينة. أمّا التهوّر فلا علاقة له مع الرويّة، وعاقبته الندم والألم معا، ممّا جعل للشجاعة منطق، وجعل للتهوّر سذاجة.

ولمتسائلٍ أن يتساءل:

. لماذا الشَّجاعة عن منطق؟

. ولماذا التهوّر عن سذاجة؟

أقول:

الشَّجاعة لا تكون إلّا عن منطق؛ لأنَّها تستهدف إيجاد حلٍّ، وتؤسّس على سرعة التدبّر قبل تفاقم المشكل.

والتهوّر لا يكون إلّا عن سذاجة؛ لأنَّه يؤدّي إلى تأزمات؛ ولذا فهو المؤسس على التسرُّع.

وعليه فالعلاقة الموضوعيَّة بين الشَّجاعة والخوف علاقة إقدام وتحسُّب وفطنة وانتباه وأخذ حذر، وصناعة مستقبل فيه السكينة والأمن. أمّا التهوّر فلا نتائج له إلّا فقدان الثِّقة بين الأنا والآخر؛ ممّا يجعل لكلٍّ حساباته عندما تحين الفرصة.

إذن: الشَّجاعة لا تكون إلّا إذا حلّت الثِّقة والأمن في النَّفس، أمّا إذا رحلتا عنها أو قاطعتا الالتقاء بها، فلن يكون في النَّفس مكان يُحلُّ فيه إلّا أماكن الجبن والتهوّر؛ ولذا فإنْ استقرّ الأمن في النَّفس، رحل الخوف عنها، وإذا فارقها الأمن، حلّ الخوف فيها، وسيظلّ حتى أن تبلغ الأمن وتسترجعه إنْ أرادت سكينة وطمأنينة مصداقا لقوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ}[6]. أي: إن القرية كانت مملوءة بالعباد وخالية من الخوف، حاجاتها مُشبعة، ولم تكن في حاجة؛ حيث لا منقوص لديها، ومع ذلك كفرت؛ فلم تُقدّر أنعم الله عليها، فألمَّ بها الجوع وحلّ الخوف في نفوس ساكنيها.

[6] النحل 112.

وهكذا النتيجة دائمًا كما يحلُّ الخوف محلَّ الأمن والسكينة والطمأنينة هي تحلّ محلّه، وسيظلّ الحال هكذا مبادلة إلى أن يبلغ الإنسان مخافة الله فلا يخاف، أي: سيظلّ الخوف رفيقا في أنفسنا إلى أنْ تتقي الأنفس ربَّها خوفا، فإذا اتَّقته خوفا انعدم الخوف عنها وبقيت في سكينة آمنة مطمئنّة، وإن بلغتْ هذا المبلغ، بلغتْ بلا خوف مقاصدها.

وعليه: إنَّ الخوف وجوبي، سواء أكان خوف حذرٍ أم خوف حرصٍ، ولتبيان الفارق بينهما نقول:

أ ـ خوف الحذر: (الخوف من) الخوف من الآخر الذي يستوجب إعداد عُدّة، فالإحساس بالخطر يستوجب أخذ الحذر الذي يترتّب عليه أخذ الحيطة باختيارات المواجهة أو اختيارات الانسحاب، ولكن إذا لم يكن الأمر محسوما لصالح أحد الاختيارين، يصبح التنسيق هو الحلّ، وذلك حسب التقديرات والاحتمالات الممكنة، فعلى سبيل المثال: الصراع بين العرب والإسرائيليين على الأرض أنتج الشعور بالخوف المتبادل، خوف العرب من إسرائيل من أن تمتلك الأرض المحتلة، وخوف إسرائيل من العرب أن يخرجوها بالقوَّة؛ ولهذا سيستمر الصراع ما دام الإحساس بالخوف مستمرا.

ولأنَّ الخوف قوَّة تفاعليّة في النَّفس تجاه الآخر وما يمكن أن يفعله فهو بطبيعة الحال قوَّة مؤثِّرة إيجابيا إن تمّ التخطيط لِما يجب أن يكون بديلًا أو حلًّا ليحلّ سكينة وأمنًا بدلا من ذلك الخوف؛ فالخوف على

الحياة ممّا يلمّ بها من مخاطر يستدعي إعداد عُدّة؛ لتفادي تلك المخاطر، وإلّا في دائرة الممكن ستقع المخاطر لا محالة؛ ولهذا فالخوف الحذري تجنبي وقائي.

ب ـ خوف الحرص: (الخوف على)، كالخوف على النَّفس والخوف على الآخر الذي لم يُقدِّر ظرفه وإمكاناته وما يجب أن يقوم به أو يؤدّيه، وهذا النوع من الخوف لا يكون إلّا من حريص لا متهوّر ولا جبان، ممّا يجعل الآباء والأمهات والمسؤولين المحترمين ومحبي الخير حريصين كلّ الحرص على ألّا يلحق أذى بأبنائهم وبني جنسهم ومن ينتمي إليهم قيما وفضائل.

وسيظلّ هذا الحال كلَّما توافرت اشتراطات وجود الخوف الذي يترتّب عليه بالضرورة وجود خائفٍ ومخيفٍ. وعندما يحسّ أيّ طرف على أيِّ بقعة من خريطة العالم، بأنَّ هناك من يشكل خطرا عليه؛ فقد يبادر هذا الطرف الذي يحس بالخطر بالهجوم على مصدر الخوف؛ ليباغته بضربة قاصمة يمكن أن تضعف الخصم وتعيده إلى طاولة المفاوضات (طاولة التنسيق)7.

[7] عقيل حسين عقيل، الخوف وآفاق المستقبل، شركة الملتقى، بيروت، 2011م، ص 67 .80.

الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة غائيَّة:

لا شكّ أنَّ لكل مهنة غاية تودُّ بلوغها من خلال ممارسين لها ومتخصصين، يمارسونها من خلال شعبها وطرقها المتعدِّدة، وأوَّل هذه المهن، مهنة الخدمة الاجتماعيَّة، التي لا تمارس إلَّا بمتخصصين اجتماعيين لهم من الغايات ما لهم، وعلى رأس غاياتهم إحداث التغيير إلى الأفضل والأجود والأرفع.

ولهذا فالأخصائي الاجتماعي له غاية إنسانيَّة فلا يتأخّر عن بلوغها بمهنيَّة، وهو من تتلمذ وتعلَّم وأُعد مهنيًّا وفقًا لفلسفة مهنة الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة ومبادئها وأهدافها الإنسانيَّة، حتى يتمكّن من دراسة الحالات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة دراسة تامة من خلال جمع المعلومات من مصادرها، وتحليلها، وتشخيص الحالة، وعلاجها مما تعاني بكلِّ موضوعيَّة، مع تقديم الخدمات المناسبة للعملاء.

ولهذا يمارس الأخصائي الاجتماعي دوره المهني من خلال مؤسَّسات الخدمة والرِّعاية الاجتماعيَّة التي يتواجد فيها، ويُسهم في رسم الخطط ووضع الاستراتيجيات التي تؤدّي إلى رفعة المستوى القيمي للفرد والجماعة والمجتمع وتؤدّي إلى التماسك والترابط والتفاعل والتوافق الاجتماعي، مع تدليل الصِّعاب أمام العملاء بتهيئة المناخ المناسب لعودتهم لأسرهم ومحيطهم الاجتماعي، ولأداء وظائفهم الاجتماعيَّة على الوجه المفضل.

وعليه فالشَّخصيَّة الغائيَّة هي ذات الطّموح العالي والأمل لا يفارقها أبدًا؛ كونها تعرف أنَّ وجودها وسعيها بلا حيويّة تدفعها إلى ما ترغب بلوغه فلن تبلغه، ولهذا فلا أحد يعرف غايات هذه الشَّخصيَّة ما لم تعلن هي عن غاياتها؛ ذلك لأنَّها المخفيَّة في النَّفس.

ولأنّه لا تمدّد إلّا لغاية، إذن فمن الذي يعلم تلك الغاية؟

يعلمها الذي يدركها قبل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفًا مشاهدًا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد، والغاية من التمدّد على مستوى الممكن المتوقّع وغير المتوقّع يتمّ بلوغها بعد إنجاز الأهداف وتحقيق الأغراض.

ولذا فالغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق؛ فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن؛ فلا تدرك إلّا من خارجها (من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[8].

يفهم من هذه الآية: أنَّ ما اكتشفه علماء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنَّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع؛ فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات

[8] الذاريات 47.

والأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ) وهو الذي بيده نهاية الكون: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ}[9].

فعلماء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون على الرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، فإنَّهم يتّفقون على أنَّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية؛ ولذا ينبغي أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، وبين تحديد الأغراض وتحقيقها، وبين تحديد الغايات وبلوغها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوّلًا بأوّلٍ، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها، ولهذا فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثم من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء والغاية المأمولة من الآملين.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ولهذا، لا ينبغي أن تكون الأهداف غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها رفعة وأمل.

إنَّ قاعدة تحديد الأهداف مؤسّسة على الإنجاز، وإلّا لا داعي لتحديدها، أي كلّ ما أنجز بنو آدم هدفا ينبغي أن يكون من ورائه هدف أهم، ثمّ من ورائه هدف أكثر أهميَّة، ووراء كلّ هدف غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية.

[9] الأنبياء 104.

ولذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يحدّد أهدفه، ولكنّه لا يعمل على إنجازها وكأنّ تحديدها هو الغاية؛ وكذلك هناك من يحدّد أهدافه ويعمل على إنجازها دون أن تكون له أهداف من بعدها، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها، ولهذا؛ فالأهداف ارتقاء: ينبغي أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات واسعة.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزل عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء يُنجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة.

ومن ثمّ فمن يريد أن يبلغ الغايات العظيمة؛ فعليه أن يجعل أهدافه درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأوّلى، ولذا؛ فلا ينبغي أن يغفل أحد من بني آدم ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاء.

ومن ثمّ ينبغي على بني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم

المكانة الشَّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا؛ فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وكلّما أنُجز هدف، من ورائه غرض، ومن ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهميَّة؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاء. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاء وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا أنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا لأهداف تنجز، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب؛ فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاء.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة؛ فلا بدّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه قمّة.

فالارتقاء معمار ينبغي أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدفا فوق هدف، وغرضا فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، ولكن في المقابل هناك من يهدم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا، وبين الهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا قابلة للإنجاز، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاء؛ ومع ذلك فهذا الأمر لا يزيد عن كونه أملا، وسيظل أملا، لأنّ الخالق خلقنا على الاختلاف وسنظل عليه مختلفين: {وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ}[10].

إنَّ الاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين قيمة، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين، ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي أن تحدّد الأهداف وفقًا لما يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاء.

[10] هود 118، 119.

شّخصيَّة الأخصائي الاجتماعي طّموحة:

لقد انتهى ذلك الزّمن الذي كان فيه الأخصائي الاجتماعي وكأنَّه مقدّم المساعدات، وجاء زمن الحاجة إليه ناهضًا بالمهنة ارتقاء بغاية التغيير إلى الأهم والأجود.

أي: لقد انتهى ذلك الزَّمن الذي كان الأخصائي الاجتماعي فيه وكأنَّه يؤدّي وظيفة ليتقاضى مقابلها معاشًا، وجاء الزَّمن الذي أصبحت كل المؤسسات الاجتماعيَّة في حاجة إليه بغاية إحداث التغيير في المؤسسة وسياستها وأسلوب العمل بها، وكذلك التغيير في دور الأخصائي الاجتماعي وأسلوب ممارسته للمهنة، التي تغيَّرت من أداء وظيفة إلى إحداث النُّقلة بغاية بلوغ الحلّ المخرج من التأزُّمات.

ولذا فالشَّخصيَّة الطّموحة تنظر إلى الأمام بغاية يُمكن بلوغها؛ فهي تسعى وتتطلّع وتطمح فيما يحقّق لها الأمن والسَّكينة، فالطموح مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثَّقافي، فيه تمتدّ الذَّات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيّات التي تميّزه عن غيره، وفقًا لقدراته واستعداداته ومواهبه وإمكاناته وعلومه وثقافته وحضارته، ممّا يجعل الشَّخصيَّة في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يُحقق لها الفوائد والمكاسب.

فالشَّخصيَّة الطموحة تقترب صفاتها من صفات الشَّخصيَّة التطلُّعيَّة التي تشغل منطقة وسطًا بين الذَّاتيَّة والموضوعيَّة، وهي مجال النشاط

الفكري والسُّلوكي المتميّز عن (الذَّاتيَّة) والمتميّز عن (الموضوعيَّة)، ولكنَّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذَّاتيَّة ومقومات الموضوعيَّة، ممّا جعله قاطعًا مستقلا بذاته في خماسي تحليل القيم[11].

وعندما تقتصر رؤى الشَّخصيَّة على مكوِّنات الذَّات القيميَّة، توصف بالذَّاتيَّة، وعندما تستوعب تلك الرؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف الشَّخصيَّة في هذه الحالة بأنّها طموحة؛ إذ أنّها تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقًا لافتراضاتها المنطقيَّة لِما هو متوقّع أو مفترض.

والعيب الذي قد يظهر على هذه الشَّخصيَّة الطموحة، أنّه ليس كلّ مفترض أو مطموح فيه يظهر الحقيقة؛ فالمفترض أو المتوقّع المطموح فيه يتطلّب مبررات لإثبات حقيقته من عدمها؛ ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا فعلتْ أو حكمتْ الشَّخصيَّة الطموحة وفقًا لافتراضاتها المسبقة؛ فقد تقع في الخطأ؛ ولذا فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ؛ فعلى سبيل المثال: القضيَّة التي تقول:

كلّ من وقف بعرفات كُتبت له حجّة.

عبد الله وقف بعرفات.

إذن: عبد الله كُتبت له حجّة.

[11] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

هذه قضية منطقية لا شكّ فيها، ولكنّها قد تكون قضية لا مصادق لها؛ ولذا يصبح الشكّ فيها، فإذا كان عبد الله قد وقف بعرفات في غير موسم الحجّ، وفي غير يوم عرفات، فلا تُكتب له الحجّة، وكذلك إذا كان عبد الله موظفًا أو طبيبًا أو حارسًا أو بائعًا، ووقف بعرفات في يوم عرفة، بهدف أداء مهام خدميّة فقط فلا تكتب له حجّة؛ وذلك لافتقاده مبررات أداء الفريضة، وهي أن يكون ضامرًا للحجِّ، وقد أدّى ما سبق من فرائض قبل الوقوف بعرفات، حتى يصبح الوقوف بعرفات حقيقة لأداء ركن من أركان الحج؛ ولهذا الحوار المنطقي ينبغي ألا يقتصر على تبادل الحجج الوثائقية، بل يجب أن يحتوي أيضا على توفّر النيّة والرّغبة الصادقة في التواصل والترابط والتآخي، وأن تكون الأفعال المصاحبة تهدف إلى كسر القيد الذي يكبّل الإرادة.

وكذلك القضية التي تقول:

كلّ من آمن كُتبت له الجنّة

سعيد آمن

إذن: سعيد كُتبت له الجنّة

نقول:

نعم إنَّ الجنة لا تُكتب إلا لمؤمنٍ، ولكن من هو المؤمن؟

إنَّه الذي يخاف الله.

وهل كلّ المؤمنين يخافون الله؟

نقول:

أكثرهم لا يخافونه، ولهذا ليس دائمًا كلّ من آمن قد كُتبت له الجنّة؛ ولهذا فالأمل العظيم يمكّن منها، أمّا الطّموح فليس بالضرورة؛ لأنّ الطّمح في ذاته لا يزيد عن كونه رغبة جامحة.

وعليه فالإنسان الطّموح هو في حالة تطلّعيّة، لأنّه في حالة نُقلة من التمركز على الذّات إلى حالة الاتزان النّفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر.

إذن: الشّخصيَّة الطموحة تميل إلى ما يمكن أن يستفيد منه، وهنا الطُموح غير الأمل؛ لأنّ الطُموح يعرّض الطّامحين أحيانًا إلى تقديم التنازلات من أجل الوصول إلى طموحاتهم، وفي المقابل الشّخصيَّة الآملة صانعة نفسها لا تميل إلا وجوبا.

ولذا في بعض الأحيان لا تفارق العاطفة طامحًا، أمّا الأمل فيمكّن الآمل من السيطرة على نفسه؛ فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجالًا جديدًا للعقل والنّفس بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النّفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب؛ حيث التطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويّة والخصوصيَّة، ويمتد من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه.

وهذا لا يعني أنَّ كلّ ميل هو موجب، فعندما تميل الشَّخصيَّة من حالة التمركز على الذَّات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوناتها القيميَّة تصبح الشَّخصيَّة على حالة من الإنسحابيَّة؛ فتوصف في هذه الحالة بالشَّخصيَّة الإنسحابيَّة التي تتخلّى عمّا يجب الأخذ به.

وعليه فالتطلُّعيَّة مرحلة من الوعي تُمكّن الذَّات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يجب.

ولأنَّ التطلُّعيَّة هي حالة وعي بالمحيط المعرفي والثَّقافي والحضاري، فهي تعد مرحلة نضج، به تتمكّن الشَّخصيَّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذَّاتيَّة) هي ما يدور من حوار بين الرّغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليَّات، في حدود الدين والعرف والقيم السَّائدة على مستوى المجتمع أو الدّولة؛ حيث ثبات الذَّات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع.

ولذا فالشَّخصيَّة الطموحة على درجة من التطلُّعيَّة، وللتمييز بين المستويات القيميَّة للشخصيَّة نقول:

1 ـ الأنانيَّة: معيارها الشخصانيَّة (أنا كلّ شيء).

2 ـ الإنسحابيَّة: معيارها نفعي انسحابي (أنا أولا، وإلّا ..).

3 ـ الذَّاتيَّة: معيارها العاطفة (نحن كلّ شيء).

4 ـ التطلُّعيَّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 ـ الموضوعيَّة: معيارها العقل (نحن سويّا).

وعليه: عندما تخاف الشَّخصيَّة الطمحة من المظالم، تتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعيَّة التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، وتقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعد ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعيَّة، وتُعد معاييره إنسانيَّة، وفي المقابل عندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تميل الشَّخصيَّة إلى الموضوعيَّة فتوصف بالتطلُّعيَّة، وعندما تميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشَّخصيَّة في حالة ميلان إلى الأنانيَّة.

ولذا فالشَّخصيَّة الطموحة تميل إلى المنطقيَّة التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابًا؛ مصداقًا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[12].

ومع ذلك فالشَّخصيَّة الطموحة قد تقتصر أهدافها وغاياتها على الظرف الآني، في سبيل أن تمتدّ إلى ما هو مستقبلي، فتميل إلى المغالبة، مغالبة ما يفيد في الزَّمن الآن على ما يجب أن يكون.

[12] . سورة الحشر، الآية 9.

إذن: عندما تخاف الشَّخصيَّة، تستشعر بأنّها في حاجة إلى المزيد المعرفي والعلمي والتقني والمزيد العلائقي الذي به تستأمن وتؤمّن مستقبلها، وهي في هذه الحالة ستمتدّ إلى مرحلة ما بعد الذَّاتيَّة، فتصبح تطلُّعيّة على درجة عالية من المزيد المعرفي الممكّن من إحلال السَّكينة محلّ الخوف، ولكن في هذه المرحلة قد يجد الطامح نفسه في موقف بين تطلّع لما يجب وقبول الأمر الواقع.

ومع أنَّ الطموح استشرافي، فإنّه قد يكون على حساب الغير، أي يمكن للطَّامحين أن يضحّوا بالغير؛ ليكونوا على حساب وجودهم، وهذا ما ليس بمأمول عند آمل.

ومع أنَّ كلّا من شخصيَّة الآمل وشخصيَّة الطّامح لا يقبلان وجود سقف يحدّ من التفكير، فإنَّ رؤى الآملين مصنّفة ومقنّنة، أمّا رؤى الطَّامحين فهي في بعض الأحيان تلتقي مع رؤى الحالمين والواهمين؛ فعلى سبيل المثال: إذا كان طموح الطّامح تبوّء منصب في مؤسّسات الدّولة؛ فمن أجل تبوئه قد يتآمر مع المتآمرين وقد يخون، وهذه ليست من شيم الآملين الذين ليس لهم وقت للضياع.

تحدّي الصّعاب بلوغ غايات:

ولأنَّ الصَّعب ليس بمستحيلٍ، فإنَّ تحدِّيه لا يكون إلَّا ممكنًا، ومع ذلك فلا تحدي للصِّعاب بلا غايات مرجوة؛ ولهذا فالغاية: هي ذلك الشيء البعيد الممكّن من نيل المأمول، وهي تُبلغ عملًا وجهدًا يبذل في سبيل الإنتاج وقبول التحدّي وتجاوز الصِّعاب بعد مغالبتها بأهداف تنجز وأغراض تتحقّق.

والغاية مع أنّها تُبلغ فإنَّها لا تدرك إلّا من قِبل صاحبها الذي يأمل بلوغها؛ فهي لم تكن هدفا مشاهدا، بل هي ذلك المجرّد الذي يدرك ولا يشاهد.

والغاية لم تكن هي المأمولة، بل هي ما يمكّن من بلوغ المأمول، أي: إنَّ المأمول هو ذلك الشيء المراد نيله أو الفوز به، أمّا الغاية فهي الكامنة في العقول والصدور، والتي في الغالب لا يعلن عنها حتى نيل المأمول الذي كان في الأنفس مجرّد غاية وأمل.

فالغايات لم تكن مثل الأهداف التي تحدّد بوضوح، بل هي في عقل الضامر وضمير، الذي وحده يعرف ماذا يريد؟ أو ماذا يرغب من وراء تلك الأهداف التي حدّدها وثابر على إنجازها؟

فالباحث العلمي على سبيل المثال: لا بدَّ له أن يحدّد أهداف بحثه أوَّلًا بأوّل، حتى يتمّ اعتمادها من قِبل الأستاذ المشرف والتصديق عليها

من لجنة القبول، أمَّا أغراض الباحث وغايات فهي من وراء نيله درجة الماجستير أو الدكتوراه، وهو وحده الذي يعرف غاياته، ولا يعلمها إلّا الله أو من أخبرهم بها.

وفي المقابل إنَّ غايات الأخصائي الاجتماعي النَّاهض هي غايات مهنيَّة مرجوة؛ لأنَّها لم تكن غايات شخصيَّة خاصة به، بل هي غايات مأمول بلوغها مهنيًّا، حيث لا قنوط ولا يأس، ولذا فلا يمكن له أن ينهض بالمهنة وينهض بدوره المهني إلَّا والغايات في عقله مأمولة.

ولأنّها الغاية؛ فهي لا تدرك إلّا ممن يعلمها سرًّا وجهرًا، فعلى سبيل المثال: الغاية من التمدّد المطلق لا يعلمها إلّا العليم المطلق، فمعرفة الغاية من تمدّد الكون هي متجاوزة لدائرة الممكن، فلا تدرك إلّا من خارجها (من قِبل من بيده العلم المطلق) الذي خلق ويخلق وسيخلق، قال تعالى: {وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ}[13].

يفهم من هذه الآية: أنّ ما اكتشفه علمَّاء الفيزياء من تمدّد كوني، لا مفاجئة فيه لمن يعلم أنَّ صفة الخالق هي الخلق بلا انقطاع، فهو الذي خلق الكون (السّماء والأرض)، وهو الذي خلق الأكوان (السّماوات والأرضين)، وهو الذي خلق التمدّد الكوني بلا انقطاع (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)

[13] الذاريات 47.

وهو الذي بيده نهاية الكون: {كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ}[14]، وهو الواحد الذي يعلم الغاية من وراء ذلك ولا أحد بإمكانه أن يعلمها.

فعلمًاء الفلك والفيزياء وكذلك المؤمنون بالرّغم من خلافهم على خَلقِ الكون، فإنَّهم يتَفقون على أنّه لم يعد بعد بلوغ الغايات إلّا النّهاية التي لا يعلم الغاية من ورائها إلّا الله جلّ جلاله.

وعليه:

الغاية لم تكن النّهاية كما يعتقد البعض؛ ذلك لأنّ الغاية من ورائها مأمول، أمّا النّهاية فمن ورائها العدم، أي: إنّ الغاية تُبلغ ليكون من بعدها المأمول بين اليدين قابلا للتعامل معه حقيقة في ذاته وليس غاية، فالغاية دائمًا تكمن في الصدور والعقول، وهي تتطلّب حُسن تدبُّر حتى تُبلغ، ومع ذلك لم يكن بلوغها في ذاته هو الغاية، بل الغاية هي التي تُمكِّن من بلوغ الشيء ليكون من بعد بلوغه قابلا لنيله أو قابلا للنيل منه أو الفوز به شيئا بعد أن كان مجرّد أمل.

ولهذا فالغاية هي الأخرى قابلة لتجاوزها، أي: قابلة لتجاوزها بما هو مأمول، فالغاية تُمكّن أصحابها من بلوغ المأمول، ولهذا لم تكن هي المأمولة، هي فقط تُوصِلُ أصحابها عملًا حتى ملامسة المأمول، ولكن كيف ينال المأمول؟ أو كيف ينال شيء منه؟ أو كيف يمكن أن يتمّ الغوص في أغواره؟ فهذا حسب الجهد والأسلوب والمقدرة، وهو أيضًا

[14] الأنبياء 104.

بعد أن يتمّ بلوغه غاية قابلة لأن تتجسّد في الشيء المشبع للحاجة أو الملبّي للرّغبة أو المقصد أو الطلب.

إذن: الغاية لم تكن الشيء كما يظن البعض حتى يقال عنها: (الغاية هي ذلك الشيء)، بل الغاية للمُشيء (الإنسان) فالغاية لا تزيد عن كونها ذلك الذي يضمره العقل البشري تجاه ذلك المأمول الذي يستوجب بعد بلوغه غاية كيفيَّة بها يتمّ التعامل معه أو التمكّن منه أخذا؛ ولهذا سيكون هناك جهد يبذل بعد بلوغ الغاية وهو التعامل مع المأمول كسبا وإشباعا للرغبة أو الشّهوة أو الحاجة المتنوّعة.

فعلى سبيل المثال: إذا كان للإنسان غاية محدّد وهي السّفر إلى دولة ما ولتكن ألمانيا، وتحقّق له هذا السّفر ودخل إلى ألمانيا، فهنا تعد الغاية قد تمّ بلوغها، ولكن ما المقصد من ورائها؟ هل المقصد من ورائها هو العمل أم العلاج؟ أم مجرّد الإقامة والعيش هناك؟ فهذا الشيء لم يكن الغاية، بل هذا الشيء هو المأمول وهو المترتّب على بلوغ الغاية (بلوغ الأراضي الألمانية). ممّا يجعل لمن كانت له غاية السّفر إلى ألمانيا أن يفصح عن مأموله وأن يعمل عليه حتى يتمّ نيله أو الفوز به وفقًا للجهد الموضوعي.

ولهذا؛ فالغاية لا تزيد عن كونها الكامنة في الصّدور والعقول التي ترسم لمستقبلها مأمولات وتسعى إليها غاية تبلغ، ومن بعدها يتمّ نيل

المأمول جهدا مع قبول تحدّي الصِّعاب وصبر لا يجعل في نفس صاحبه للملل مكانا ليركن إليه.

وعليه:

. الغاية تُبلغ فلا تقنط.

. الغايات لا تبلغ إلّا تحدٍّ؛ فعليك بالتحدّي الذي يمكّنك منها تيسيرا.

. الغاية مع أنّها في النَّفس وتحت سيطرة العقل، فإنَّ الشيء المراد بلوغه قد يكون بعيدا، ومع ذلك قوَّة الغاية وتحفّز أصحابها يسرّع من طيي الهوة بين من يضمر في نفسه غاية والشيء المراد بلوغه.

. بلوغ الغاية يُمكّن من تفحّص المأمول ونيله.

. الغاية تُبلغ ولكنّها لم تكن في ذاتها شيئا، بل الغاية بلوغ الشّيء؛ ليكون من بعد بلوغه عملًا يجعل نيل المأمول الذي تمّ بلوغه ميسّرا.

. الغاية تُمكّن من بلوغ الشيء، ولكنّها لم تكن هي الشيء في ذاته، فالشيء يتم نيله أو أخذه، أمّا الغاية فلا تؤخذ ولا يتمّ نيلها، بل نيل الشّيء لا يؤخذ إلّا من بعدها؛ فينبغي للإنسان أن يولّد في نفسه غايات وفي عقله تدبّر، ثمّ يعمل حتى يتمّ نيل المأمول الذي لم يكن قبل نيله إلّا مجرّد أمل.

ومن ثمّ؛ فمن يرد أن يبلغ الغايات العظيمة فعليه أن يجعل غاياته درجات سلّم (درجة أعلى من درجة) أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلّم، أهّب قدمه الأخرى إلى الدّرجة التي هي أعلى من التي وضع عليها قدمه الأوّلى، ولذا؛ فلا ينبغي لأحد من بني آدم أن يغفل ويضع قدميه معا على درجة من درجات السّلم حتى لا تنكسر بأيّ علّة ويجد نفسه قد وقع على الأرض الدّنيا حطاما؛ فالقدمان لا يوضعان بسلام وصاحبهما مطمئن إلّا على قمّة استراحة السّلم الذي يرتق الأرض مع السّماء ارتقاءً.

إذن: بلوغ الغايات يستوجب:

. تخمين مع حُسن تدبّر.

. وعي بالمأمول.

. إمكانية بلوغ المأمول.

. قبول تحدّي الصِّعاب.

. صبر لا إحباط من بعده.

. ثِقة لا شكّ يراودها.

. يقين لا حياد عنه.

. صمود، وإن كانت الصِّعاب تصاحبه مؤقّتا.

. ثبات ولا حياد عن تلك الأهداف الواضحة تجاه الغايات المراد بلوغها.

. عمل مؤسّس على التفهّم والتبيّن حيث لا غموض.

. اعمل وأنت تفكّر في كيفيَّة توليد الغاية من الغاية.

ولذا فعلى بني آدم أن يعملوا، وعليهم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا غايات يتمّ بلوغها، ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة فلا بدَّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلًا، واحترامًا، وتقديرًا، واعتبارًا، واستيعابًا، وتفهّمًا، وتدبّرًا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل أن يبلغوا الغايات العظام.

ولأجل ذلك: ينبغي للإنسان أن يكون له غايات قابلة للبلوغ، وينبغي له أن يكون من وراء الغايات التي تمّ بلوغها غايات أعظم من تلك التي قد بُلغت وحقّقت الاطمئنان لآمليها.

وكذلك في دائرة الممكن غير المتوقّع هناك من يحدّد أهدافه بمعزلٍ عن قدراته وإمكاناته المتاحة، ممّا يجعل الأهداف لا تزيد عن كونها قد كتبت على الورق، أو خبّأت في الصّدور، وهنا يقف حمار الشّيخ عند العقبة، حيث لا شيء ينجز، سوى الحديث عن تلك الأهداف المقبورة وهنا يكمن الوهن والضعف، ولا تتحقّق الغايات التي بنى البعض عليها آماله وهمًا وتخيلًا.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشَّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة قوَّة ورفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وشُبهة، وهنا يكمن الانحدار علّة.

ولذا فكلّما أنُجز هدف، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف أهداف من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهميَّة، فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً، أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا لأهداف تنجز رغبة، وأغراض تتحقّق عن إرادة، وغايات يتمّ بلوغها عن قوَّة، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين قوَّة.

وعليه:

فالغايات هي حيويّة الدّوافع، ومثيرة الحوافز النَّفسيَّة والذهنية والعاطفية بقوَّة الرّغبة والأمل تجاه ما يمكن أن يبلغ في دائرة الممكن المتوقّع

وغير المتوقّع. والإنسان بلا غايات هو بلا آمال، ومن ثمّ؛ فلن يكون في عصره من بين صنّاع المستقبل ومحدثي النُّقلة[15].

تحدّي الصّعاب مأمول من بعد غاية:

مع أنَّ البعض لا يرى إمكانيَّة أمام الصِّعاب، فإنَّ البعض لا يرى مأمولًا إلَّا من بعدها، ومع أنَّ مواجهة الصِّعاب ليس بالأمر السّهل، فإنَّ تحدِّيها ليس بالمستحيل ولا بالمعجز؛ ومن هنا فنيل المأمول لا يعد أمرًا هينًا، وهذا لا يعني أنّه خارقة، بل المأمول في معظمه عند العظماء عظيمًا؛ ولهذا لا يمكن بلوغه ونيله إلّا بتحدّي الصّعاب، فالمأمول هو الباعث الذي ولّده الأمل فكرة حتى أصبح شيئًا يتم بلوغه ونيله؛ ولأنّه مولود الفكر فهو للآملين مثل الوليد للآباء رعاية وعناية، وحرصا وعملًا جادا. تحشّد الإمكانات وتبذل الجهود من أجل بلوغه، ثمّ نيله والحفاظ عليه حفاظا على مولود من الأصلاب، دون أن يوقف الإنجاب من بعده؛ فالابن دائمًا في حاجة لأخوة، والآباء في حاجة للأبناء رحمة، وهكذا المأمول يتولّد من الفكرة والمشاهد مأمولا من بعده مأمول.

المأمول لا ينجبه الانتظار، بل ينجبه القبول بتحدّي الصّعاب والإقدام على تحديها، ومن ثمّ ينجبه الفكر المنظّم والعمل الجاد، وفي المقابل الانتظار لا عمل، ولا عمل يساوي نتيجة صفرية؛ ولهذا فالمأمول لم يكن المنتظر، بل المتوقّع كما هو. فإذا جعلنا المأمول منتظرا فلا داعي

[15] عقيل حسين عقيل، مبادئ التنمية البشرية، مكتبة الخانجي، القاهرة، 105 . 113.

للعمل، فهو المتوقّع الذي حُددت الأهداف من أجله، وَوَضَحت الأغراض والغايات من ورائه، ورسمت الخطط والاستراتيجيَّات المؤدية إلى نيله.

ولأنّ المأمول لم يكن المنتظر؛ فهو أيضًا لم يكن المرتجى؛ فالمرتجى لا سبيل لبلوغه إلّا من خلال الغير الذي قد لا يستجيب لمطلب ولو توسّل المتوسّل، أمّا المأمول فلا انتظار ولا توسّل إلّا لله تعالى، إنّه الاعتماد على النَّفس والإمكانات المتاحة والتي يمكن أن تتاح إرادة ورغبة وضرورة.

والمأمول لم يكن الجهد المبذول، بل ما يبذل من الجهد من أجل نيله (إنّه المترتب على الجهد الذي أنتجه شيئا ملموسا) فالفلّاح على سبيل المثال: يحرث ويزرع وأمل الحصاد لا يفارقه، ولسائل أن يسأل:

لم لا يكون الحصاد مأمولًا؟

أقول: الحصاد جهد يبذل، وهو أمل الفلاح، أمّا مأموله فهو أن ينال إنتاجا وافرا. فإن كان وفيرا نال مأموله، وإن كان غير ذلك فسيكون موسمه درسا له لمواسم أكثر أملًا.

وعليه:

الأمل يحرّك الآمل ويدفعه، ونيل المأمول يطمئنه ويحفّزه على المزيد، فالآمل لا يقنط، والحياة الدنيا بالنسبة إليه مدرسة يجب أن يكون فيها ناجحا ومتميّزا إن أراد أملًا أعظم في حياة أعظم.

المأمول وإن صعب نيله فنيله ممكن، شريطة القيام بعملٍ موجبٍ، مع صبر على بذل الجهد والمثابرة، ثمّ تحدّي الفشل، مع العلم أنّ الفشل لا يكون إلّا بأيدي اليائسين، ولا يكون إلّا عن إرادة منهزمة لشخصية لا تقبل التحدّي، وهذا لا يعني: أنّ المأمول صعب المنال، بل يعني: فقدان العزيمة (تصميما وإصرارا) على حياة أفضل، والعزيمة لا تمنح، ولا تشترى، بل هي تستمدّ من العقل الذي يفكّر في أمره وتحسين أحواله وضمان مستقبله، وهذه لا تكون إلّا بيد العقلاء. فمن له عقل لا يليق به ألا يستثمره ويوظفه فيما يفيد شخصه ومن لهم علاقة به، فالذي اختار أمله غزو الفضاء، قد اختار الصّعب تحدّ، فبلغ الفضاء غزوا ومأمولا، ومن ثم ثبت لنا أنّ الصّعب لا يصمد أمام المتحدّين، أي: إنَّ الصِّعاب لا تستسلم إلّا على أيدي المتحدّين؛ ولذا فلم لا نتحدّى؟

المأمول مع أنَّه باعث خارجي (خارج الفكرة) لكنّه لا يكون إلّا خلقا أي: خلق (الشيء ولا شيء)، أو أنّ يكون مولود الفكرة، فعقل الإنسان لو لم يفكّر ما أنتج الفكرة، ولو لم يكن مستبصرا ما ولّد من المشاهد فكرة.

المأمول يتعدد ويتنوّع وفقًا للحاجة والمطلب، وهو لا يُبلغ إلّا عن إرادة وجهد يبذل مع القبول بدفع الثمن، وقد يكون المأمول خاصّا وفقًا للحاجة والشهوة وهو كثير، وقد يكون عامّا كونه مأمولا عظيما، وكلّ مأمول عام فيه منافسة، وقد يكون عليه الصراع، فرئاسة الدّولة مأمولة

عند الكثيرين، والمنافسة الحرّة وفقًا للدستور وحدها الحاسمة، ولكن لا يمكن أن يكون رئيس للبلد إلّا فائزًا واحدًا؛ ومع ذلك البعض قد يحترم نتائج الدستور والبعض قد لا يحترمها، فتنقلب المنافسة الحرّة إلى صراع دام، وهنا تكمن العلّة، وقد تحدث الانقلابات على الدساتير كرها، وهذه في معظمها أساليب لا تُحترم عند أهل الثقافة.

ولأنّ الانقلابات لا تكون إلّا كرها؛ إذ لا دستور، فهي تحمل عناصر فنائها فيها ممّا يجعل بعد كلّ انقلاب انقلابات.

والتعليم مثال آخر على المأمول العام: فهو مع أنَّه عامّ، لكنّه لا يكون على حساب أحد، وفيه يتنافس المتنافسون.

أمّا الفوز بالجنة فيعد المثال الأعظم للمأمول العام، ومع أنَّها مأمول عام، لكنّ بلوغها والفوز فيها لا يكون إلّا خاصّا؛ لأنّ نيلها نيل مكانة، مكانة تستوعب الجميع دون أن يكون أحد على حساب آخر. وهنا لا مقارنة بين مكانة رئاسة الدولة التي لا تشغل إلّا مفردة، ومكانة أعظم تستوعب ما خلق مأوى ونعيما ومتعة، قال تعالى: {يَا قَوْمِ اعملوا عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ}[16].

[16] الأنعام 135.

ولهذا فالجنّة مأمول ولم تكن أملًا، فالأمل مولود الفكرة، أمّا الجنة فخلق الخالق، وهي متاحة لمن يشاء ويعمل من أجل نفسه ونيلها فوزا مع الفائزين.

ومع أنَّ المأمول عام (الجنة)، فإنَّه لا يتم نيله إلّا بجهد خاصّ؛ لأنّ العلاقة بين المخلوق المجازَى بها والخالق المجازي بها علاقة خاصّة.

أمّا إذا كان المأمول عامّا والمطلب أيضًا عامّا؛ فالمثال الذي يمكن سوقه افتراضا: أنّ دولة ما قد تمّ احتلالها من الأجنبي، ففي هذه الحالة لن يكون لمواطنيها مأمول إلّا تحريرها، ومن هنا يصبح المأمول العام مطلبا عاما؛ ولا أمل للشعب كلّه إلّا تحرير وطنهم، فيعملون كلّ ما هو ممكن حتى يتحرر كما أملوه مأمولا.

وهناك ما يماثل هذه الأمثلة، من حيث إنَّ المأمول جمعيًّا والنوايا فردية، كالقيام بفريضة الحج المأمولة من المسلمين، غير أنَّ تأديتها لا تؤسّس إلّا على النيّة، وهذه لا تكون إلّا فردية وكأنَّ الفرد حاج بمفرده، فينوي بنفسه حجّا، ثمّ يتقدّم مع الحجيج لأداء الأركان الأخرى، ومن هنا يندمج الأنا في الذات العامّة.

ولسائل أن يسأل:

أين الأمل في هذه المثال؟

أقول: الأمل: تلك الحيويّة التي هيأت المسلم لإعداد العدّة استعدادا وتأهبا حتى قام بأعمال الحج وناله من بعد غاية.

والآمل: المسلم المقدِم على أداء فريضة الحج.

أمّا المأمول: القيام بالفريضة على أتم وجه.

فالحج مع أنَّه مأمول عظيم لدى المسلمين؛ لكنّه يعد عملًا يجب القيام به من أجل مأمول أعظم، (الجنة) حيث النعيم الدّائم. أي: إنّ المسلمين يميزون بين النعمة والنعيم؛ فهم يعرفون أنّ الدنيا بيت النعم المتعددة والمتنوّعة، وأنّ الآخرة بيت النعيم الدّائم. وللتمييز: النعم فيها الأذواق تتعدد وتختلف وتنقطع، أمّا النعيم لذة دائمة لا تنقطع، ولا يختلف عليها ولا يتخالف. أي: إنّ الجنة فيها النعيم بذاته، أمّا الدنيا فيها النعم تتحوّل فضلات. وهنا الفرق كبير بين النعيم لذة لا تنقطع ولا تنقص ولا تنتهي ولا يتعفّن نعيمها وما يترك زبالة تشمئز الأنفس من رائحتها النتنة.

وعليه: فإنَّ المأمول المطلق: الفوز بنعيم الجنّة، أمّا ما دونه فهي مأمولات في دائرة الممكن؛ ولهذا فالمأمول هو: المقصود في ذاته دون سواه؛ ليتم نيله استجابة لأمل عن رغبة، سواء أكان نسبيًّا أم مطلقًا.

المأمول لا يكون إلّا معلوما، والقصد إليه ثابتٌ، وإن أخذ العمر كلّه، فالمهم أن يبلغ وينال، فساعة نيله وكأنّه لم يقض ما انقضى من وقتٍ، وساعة نيله وكأنّه كان غير متوقّعٍ بالرّغم من توقّعه.

وعليه فالمأمول:

. لم يكن خيالًا مجرّدًا.

. نتاج العمل الجاد.

. يتم نيله والفوز به.

. يفتح آفاقا جديدة أمام الآملين.

وعلى الآملين:

. التفكير الجاد؛ حتى يولّدوا من الفكرة فكرة.

. التعلّم؛ حتى يتعلّموا كيف يتعلّمون.

. أنْ يرفضوا؛ حتى لا يكون الرّفض غاية.

. أنْ يتقبّلوا دون أن يكون التقبّل مذلّة.

. أن يحترموا حتى لا يصبح الاحترام جبنا.

. أنْ يتفهّموا ظروف الغير دون أن يجعلوا مأمولاتهم على حسابهم.

. أن يتكلّموا دون أن يصبح الكلام ثرثرة.

. أن يستوعبوا قبل أن تخلط الأوراق.

. أن يحاججوا كي لا تتسع دوائر التُبَّع.

الغاية نيل المأمول:

الغاية أن تبلغ مقصدك، أمَّا نيل المأمول فهو المترتب على بلوغك مقصدك، فإذا كانت غايتك السّفر إلى الولايات المتحدة الأمريكيَّة وبلغتها سفرًا، فلا بدَّ أن يكون لديك مقصد من بعد دخولك أراضيها وهو ما تود أن تناله أو تفوز به.

فعلى سبيل المثال: إذا كانت الغاية من الممارسة المهنيَّة للخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة هي تقديم المساعدة، فينبغي أن يعرف الأخصائي الاجتماعي أنَّه لا يليق به ولا بمهنة الخدمة الاجتماعيَّة التوقّف عند بلوغ الغاية (تقديم المساعدة)، بل عليه أن يعرف أنَّ فلسفة الخدمة الاجتماعيَّة هي نيل المأمولات؛ ولذلك فالخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة تود من بعد تقديم المساعدة إحداث التغيير، أي إنَّها تود من بعد بلوغ الغايات نيل المأمولات والفوز بها.

ومن هنا فالأمل ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه بلوغ المأمول ثم نيله، والآمال هي المرجوة بلوغا ثم نيلا، سواء أكانت بحثا علميا أم عملًا أم أيّ مقصد من المقاصد المعلومة؛ ولهذا تحدد لها الأهداف لتكون مرشدة لمراميها.

فالآمال تحدّد لها الأهداف وفق الإمكانات المتاحة من قبل الذين يأملون إنجاز ما يمكن إنجازه علمًا أو معرفة أو بناء وإعمارا وصناعة مستقبل، وهي لا تكون محدّدة إلّا بعد وضوح رؤية تجاه ما يجب الإقدام

عليه، ومن ثمّ فالصّراع بين بني آدم اختلافا وخلافا لن ينتهي بين البناة أملًا، والهادمين له انحدارا ما لم يضع الجميع نصب أعينهم أهدافا مشتركة (قابلة للإنجاز)، من ورائها أغراض قابلة للتحقّق، وغايات يجب أن تُبلغ ارتقاءً، وآمال رفيعة يتم نيلها.

فالاختلاف الذي خُلقنا عليه وسنظل عليه مختلفين، هو: اختلاف التنوّع المشبع للحاجات المتطوّرة عن رغبة وإرادة، ولكن هذا الإشباع لا ينبغي له أن يكون على حساب ما يشبع حاجات الآخرين؛ ولذلك يجب أن تحدّد الأهداف والأغراض والغايات بعيدا عن كلّ ما من شأنه أن يؤدّي إلى الخلاف الذي فيه الاقتتال والفتنة، أي: ينبغي للأهداف أن تحدّد وفقًا لأملٍ مشترك يجمع شمل المتفرّقين خِصاما، ويحلّ تأزّماتهم، ويشبع حاجاتهم المتطوّرة عدلا وارتقاءً.

ومن أجل الارتقاء قمّة، ينبغي الابتعاد عمّا يؤدّي إلى الاقتتال والفتن؛ فالاقتتال والفتن ضياع فرصة حيث لا أمل، والزّمن لا يعطي الفرصة مرّتين؛ فيجب عدم إضاعة الفرص كلّما سنحت الظّروف ارتقاءً، ومن يضيعها سيجد نفسه على غفلة من أمره، وحينها لن ينفعه النّدم؛ فالنّدم عندما تضيع الفرص قد يؤدّي بأصحابه إلى الهاوية، ولكن إن كانت الفرص لا زالت سانحة؛ فالأمل الرّفيع يؤدّي إلى تصحيح المواقف الخاطئة بمواقف صائبة، أي: متى ما ضعف الإنسان انحدر غفلة، ومتى

ما قوي ارتقاءً تذكّر؛ فاتّعظ واعتبر، ومتى ما تدبّر، عمل وأنتج، ومتى ما فكّر، حدّد أهدافا من ورائها أغراضٌ، والغاية من ورائها القمّة مأمولة.

وعليه:

إنّ تحديد الآمال مثل تحديد الأهداف يُمكّن من إنجازها بنتائج وحلول موضوعيَّة، ويوجّه الباحثين إلى ما يمكن إنجازه دون إضاعة للوقت أو الجهد، ودون أيّ إهدار للإمكانات، وهي تلفت الباحثين والعاملين على إنجازها إلى أهميَّة الموضوع أو القضية التي يأملونها ويضحّون من أجلها؛ ولهذا:

وضوح الأمل يؤدّي إلى وضوح الرّؤية.

. غموض الأمل لا يؤدّي إلى بلوغ المرضي.

. تحديد الأمل يمكّن من التدبّر.

. ولّد في نفسك وعقلك أملًا من ورائه مأمولات.

. تبيّن أملك قبل الإقدام على العمل.

. ثق أنّ الآمال تُنال؛ فلا تتأخّر عن العمل.

وإذا أراد بنو آدم عدم الجلوس على أرصفة البطالة والمتسوّلين فعليهم بصناعة الأمل وتوليد الآمال منه، ثمّ وجب عليهم حُسن التدبّر مع أخذ الحيطة والحذر؛ فالتسوّل يؤخّر أصحابه عن الالتحاق بركب من يحدِّدون

أهدافهم، وأغراضهم وغاياتهم بأمل تحقيق الرّفعة والارتقاء قمّة ومن ثمّ نيل المأمول.

وفي المقابل لا ينبغي للعاطفة أن تجرّ أصحابها إلى دعم مواقف المتسوّلين (الذين يتخذون التسوّل مصدرا للعيش)، بل العقل المتدبّر لأمره يجب أن يدفع أصحابه إلى ما يمكّن المتسوّلين من صنع الأمل والمشاركة في العمل المنتج، وكذلك لا ينبغي لبني آدم أن يضعوا أنفسهم في مواقف الاستعطاف، ولا ينبغي لهم الأخذ بالعاطفة فيما يؤسّس إلى ترسيخ الفضائل والقيم وبناء الدّولة؛ فرجالات الدّولة كلّما أخذتهم العاطفة أخّرتهم عن إنجاز الأهداف السّامية، وتحقيق الأغراض الرّفيعة، وبلوغ الغايات العظيمة، ونيل المأمولات قمّة.

ولهذا فالآمال ليست أمنيات، بل هي المرشد الحقيقي للباحثين في ميادين البحث العلمي، والسّاعين إلى الارتقاء مهنة وعلمًا ومعرفة وإنتاجًا وحرفة؛ ولهذا فلا يمكن أن تنجز المهام والأعمال والخطط والاستراتيجيَّات على أي مستوى من المستويات الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة وأيّ مستوى من المستويات السياسية والاقتصاديَّة والمعرفية ما لم تحدد لذلك آمال عريضة تحتوي أهداف قابلة للإنجاز ومأمولات قابلة لأن تصبح شواهد.

وعندما تُصنع الآمال، وتحدّد الأهداف، تصبح رؤية الآملين واضحة المرامي والأغراض، وفي المقابل من لا يتمكّن من صنع آماله وتحديد أهدافه

أو رؤيته أو سياسته فلن يستطيع أن ينجز شيئا يمكن أن يكون على الأهميَّة المأمولة.

وعليه:

. الآمال العظيمة ليست أمنيات الكُسالى، فهي تحمل في أحشائها حيويّة تدفع تجاه نيل المأمولات الراقية.

. الآمال العريضة لا تصنع إلّا من قِبل الجادّين.

. الآمال لا يقودها إلّا آمل وإن استعان بمن استعان.

. الآمال تهدي الآملين إلى مأمولاتهم وترشدهم إليها مثلما تهدي المنارات سفن المبحرين.

. الآمال لا تتولّد في العقول إلّا من قِبل القادرين على نيلها أو الفوز بها.

. يعد تحديد الآمال خرقا لما كان يظن أنّه صعب المنال.

. يعد إنجاز أوّل أمل أكبر لبنة لبناء المستقبل المأمول.

. تحديد الآمال لم يكن غاية في ذاته، بل الغاية طي الهوة بين الآمل والمأمول؛ لأنّ بلوغ الغاية وطي الهوة يفتح آفاقا جديدة لتوليد آمال جدية لم تتولّد إلّا من بعد مأمول تمّ نيله.

ومع أنَّ في البداية تكون الصّعوبة، فإنَّ في النّهاية لا تعد استحالة؛ فالتعلّم بداية تواجهه المصاعب كما تواجه عمليَّة التذكّر والتدبّر والتفكّر والإبداع، ولكن نهاية الأهداف تنجز، والأغراض تتحقّق، والغايات تُبلغ والآمال تُنال.

ولأجل ذلك ينبغي لنا أن نميّز بين تحديد الأهداف وإنجازها، والأغراض وتحقيقها، والغايات وبلوغها، والمأمولات ونيها؛ فالأهداف تحدّد لتنجز أوَّلًا بأوّل، وهي في دائرة الممكن المتوقّع لا تنتهي إلّا بانتهاء من يعمل عليها، ولهذا؛ فلا توقّف بعد إنجاز الأهداف، بل ينبغي تحديد أهداف أهم من التي أنجزت، ثمّ من بعدها أهداف أعظم، وهذه من سُبل تحقيق الارتقاء غاية.

ولأنّها أهداف تحقيق الارتقاء؛ فلا تكون ذات أهميَّة إلّا ومن ورائها أغراض، ثمّ من وراء الأغراض غايات عظيمة، ومن ورائها مأمولات أعظم، ولهذا، لا ينبغي لأهداف الآمل أن تكون غاية في ذاتها، بل يجب أن تكون الغايات من ورائها ما يحقق الرفعة (نيل المأمول ارتقاءً).

ولهذا فإنَّ قاعدة صنع الآمال وتوليدها مؤسّسة على وجوب نيل المأمولات، وإلّا لا داعي لصنعها وتوليدها؛ فكلّ ما نال بنو آدم مأمولًا ينبغي لهم أن يكون من ورائه مأمول أهم، ثمّ من ورائه مأمول أكثر أهميَّة، ووراء كلّ مأمول غرض من ورائه غرض أعظم، وهكذا هي سُبل تحقيق الارتقاء غاية ومن ورائها غاية مأمولة.

وفي دائرة الممكن غير المتوقّع، البعض يصنع له أملًا، ولكنّه لا يعمل على نيله وكأنّ صنع الأمل هو المأمول في ذاته؛ وكذلك هناك من يصنع له أملًا ويعمل على إنجازه دون أن تكون له آمال عريضة من بعده، وهنا يكمن الفشل أمام تطوّر الحاجات وتنوّع مشبعاتها؛ ولهذا فالآمال ارتقاءً: ينبغي لها أن يكون من ورائها أغراض تكمن من ورائها غايات عظيمة.

إذن: ينبغي لبني آدم عند رسم السياسات أن يجعلوا وراء كلّ أمل غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشَّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السعيد قيمة. ولكن إن لم يعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على الرّصيف بين حاجة وألم، وهنا يكمن الانحدار علّة.

وعليه:

. إنّ تحديد الآمال ليس غاية في ذاته، بل الغاية من ورائه نيل المأمول.

. من يحدّد آماله غاية ليس له من نتيجة إلّا الفشل.

. توليد الآمال يولّد آمالا جديدة في عقول الجادّين.

. لا يولّد الأمل من الأمل إلّا ومن ورائه غرض، ومن وراء الغرض غاية من ورائها مأمول؛ ولهذا فكلّ غرض يتحقّق من ورائه غاية، وكلّ غاية تُبلغ من ورائها مأمولا يفتح آفاقًا أمام مأمول أعظم.

. تصنع الآمال وفقًا لمتغيرات بيّنة، ولكن الآمل لا يقتصر عليها؛ فهناك من الآمال ما يصنع في دائرة غير المتوقّع بما يمكّن من إنجاز المفاجئ.

ولذا فكلّما تمّ نيل أمل، من ورائه غرض، من ورائه غاية، يتمّ اكتشاف آمالٍ من ورائها أغراض تحقّق غايات أكثر أهميَّة؛ فالحياة الدّنيا لا غاية من ورائها إلّا رتق الأرض بالسّماء ارتقاءً. أي: كلّما وضع الإنسان أحد قدميه على درجة من درجات السّلم ارتقاءً وتحقّقت له الرّغبة المرضية قيمة وفضيلة، يجدّ نفسه أكثر رغبة تجاه الصّعود إلى الطوابق العليا حتى يرى بأمّ عينيه أنّ الأرض والسّماء قد رُتقتا جنّة.

فعلى بني آدم أن يعرفوا إنّهم سيبلغون السّماء ارتقاءً كلّما عملوا وفقًا لآمال يتم نيلها، وأغراض تتحقّق، وغايات يتمّ بلوغها، ولكن إن أحسّ بعضهم بشيء من التّعب فعليهم بوضع أيديهم مع أيدي الصّاعدين ارتقاءً، وعليهم أن يتأكدوا أنّهم في حاجة لوضع أيدهم مع أيدي الصّاعدين أملًا وارتقاءً.

ولأجل بلوغ الارتقاء قمّة، ونيل المأمول رفعة فلا بدَّ من سيادة الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة بين بني آدم، تقبّلا، واحتراما، وتقديرا، واعتبارا، واستيعابا، وتفهّما، وتدبّرا، مع مراعاة البدء مع النَّاس من حيث هم، من أجل ما يجب أن يكونوا عليه رفعة.

فالارتقاء معمار ينبغي له أن يُبنى لبنة فوق لبنة (قيمة فوق قيمة)، وهدف فوق هدف، وغرض فوق غرض، وغاية من فوقها غاية، وأمل

من ورائه آمال، ولكن في المقابل هناك من يهدّم المعمار رأسا على عقب، وهناك من يهدّمه لبنة بعد لبنة؛ فالصّراع بين بني آدم لن ينتهي بين البناة رُقيّا والهادمين له انحدارا، ما لم يضع الجميع نصب أعينهم آمالا قابلة لأن تنال[17].

تحدّي الصِّعاب يمكّن من الخوارق:

لا شكَّ أنَّ الفرق كبير بين من يستسلم إرادة للسُّكون ويركن إليه، ومن يتمدّد مع تمدّد الحركة، أي الفرق كبير بين من يرى الشّمس شروقًا وغروبًا ويضبط عقله ونفسه مع مواقيتها تذكُّرًا وتدبُّرًا وتفكُّرًا، ومن لا يراها إلَّا في أثناء الشُّروق ولا يتحرك مع حركتها والأرض.

ولذا فإنَّ تحدّي الصّعاب بحثٌ علميٌ غير مقولبٍ يتجاوز بالباحثين معرفة ما آلفته طرق البحث العلمي التي تصوغ فروضا يكون جزءٌ من المعلومة متوّفرا فيها وجزءٌ منها مجهولا، أمّا بلوغ الخوارق فهو تجاوز للمقولب بتساؤل: لِمَ لا يكون المتوافر بعكس ما هو عليه؟ كما تساءل نيوتن: لم لا تصعد التفاحة إلى أعلى بدلًا من سقوطها إلى أسفل؟ وبدأ في بحثه وتجاربه حتى اكتشف قانون الجاذبية إضافة جديدة تامّة كونها لم تستمد من نصف المعلومة المجهول، بل اكتشفت معلومة جديدة فكانت إضافة تامّة للعلوم والمعارف الإنسانيَّة.

[17] عقيل حسين عقيل، الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 152 . 160.

إذن: الخوارق بها يتمّ تجاوز المألوف والمحتمل في دائرة الممكن غير المتوقّع من خلال تحدّي العقل البشري للكوابح والمعيقات، وهي نتاج المقدرة الذهنية ذات الرؤية الثاقبة للمشاهد والملاحظ بغاية التعرّف عليه وعلى القوانين التي هو عليها وعلى الكيفيَّة التي بها خُلق حتى التمكّن من معرفة المستحيل مستحيلا.

ولهذا فالخوارق تُصنع وتُبدع كونها على غير سابقة معروفة، فمن بلغها اختراقا (تجاوز للمألوف) وأظهر ما كان مجهولا أو مختفيا لحيّز المشاهدة والملاحظة فقد أضاف جديدا لميادين المعرفة الواسعة. فالخوارق لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولأنّها في دائرة الممكن فهي ستتولّد خارقة ومن بعدها خوارق. وما الاستغراب الذي يصاحبها أو المفاجئات التي تلاحق وجودها إلّا بسبب كونها لم تكن متوقّعة.

والخوارق تُصنع؛ لأنّها تأتي عن غير قاعدة، وعن غير معتاد ولا مألوف ولا متوقّع، ممّا يجعل علامات الاستغراب والاستفهام والتعجّب توضع عليها وعلى من اكتشفها أو جاء بها.

أمّا الصُّنع فهو إظهار ما لم يكن ظاهرا، أو إيجاد ما لم يكن بين اليدين موجودا، أو إظهار الشيء الظاهر على غير ظهوره إبداعا، أو استخراج الشيء من الشيء بطريقة أو أسلوب غير معتادٍ ولا مألوفٍ.

والصُّنع هو أن يتمّ الإتيان بما لم يسبق لأحدٍ الأتيان به، وهو نتاج التفكير المفتوح حيث لا سقف يحدّه ولا موانع تكبحه؛ أمّا الخارقة فهي

بلوغ ما لم يكن متوقّعًا، والخوارق أعمال غير معجزة، أي: لو لم تكن ممكنة ما كانت، ولكنّها غير عامّة فهي تحتاج إلى مقدرة عقليَّة تتجاوز بصاحبها ما يمكن تدبّره إلى ما يمكن بلوغه كونه لم يكن مستحيلا ولا معجزا. والخارقة تقود أصحابها فكرا إلى الإبداع الممكّن من معرفة ما كان مستغربًا.

ومن ثمّ فالفكرة تحدٍّ تقود إلى العمل المبدع، والعمل المبدع بداية قد يصفه البعض بالمستحيل بالرّغم من تحقّقه مشاهدة وملاحظة، فالهبوط على القمر، البعض كذّبه بداية، ولكنّه لم يصمد في تكذيبه؛ لكونه أصبح حقيقة لا تُخفى.

ولهذا فالصّعود إلى القمر يعد عملًا من أعمال الخوارق التي بإمكان العقل البشري أن يبلغ ما هو أعظم منه، فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المحقّق للخوارق وفقًا لدائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، ولا استغراب، ولا مفاجأة، بل الاستغراب ألا يرتقي عقل الإنسان إلى اقتناص الفكرة الممكّنة من الارتقاء وبلوغ الخوارق.

وهنا، أقول:

الجنّة بين أيديكم فاعملوا يا بني آدم من أجلها، فاغزوا الفضاء بكلّ الخوارق التي بإمكانكم العمل عليها والعمل بها، فبلوغ الجنّة غير مستحيل، بل المستحيل ألّا تعملوا ارتقاءً من أجل بلوغها.

وهنا لا أقول مواعظ، بل لِمَ لا نتعظ، ونتدبّر أمرنا حتى نتمكّن من بلوغ الخوارق ارتقاءً؟ ومن يرى غير ذلك فكأنّه لم يُخلق بصيرا، وليس له من الحواس ما يمكّنه من خَلق الخوارق وتجاوزها بخوارق أكثر ارتقاءً؛ فمن يغفل عن ذلك فكأنّه قد غفل عمّا بنته الحواس وما ستبنيه من حضارات، فالتذكّر يربط العقل بما أنجزته أيدي النَّاس، وبما غفلت عنه، ليتدبّر حاضره، ويفكّر في مستقبل يستوجب رسم الخطط الممكّنة من الخوارق في دائرة الممكن.

وعليه:

فالإنسان مؤهّل للارتقاءً عقلا وحسّا، فهو يتذكّر؛ ليتّعظ ويُصلح، ويتدبّر؛ ليبني وينتج، ويفكّر؛ لإيجاد خارقة بها يصنع مستقبلًا راقيا، يَرتق الأرض بالسّماء.

ومن أراد أن يكون له شأن؛ فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائل، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائل؛ فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي له أن يكون عليه ارتقاءً.

فالارتقاء حركة دؤوبة، يتحقّق عبر التَّاريخ بالجهد الرّصين والعمل المتّصل، الذي منه تؤخذ العبر، وتستمدّ المواعظ، وتنقل التجارب النّاجحة شواهد؛ فالارتقاء لا يحدث فجأة؛ فهو مثل الوليد، يولد وهو في حاجة للرّعاية والعناية، ثمّ يكسب قوّة تدفعه إلى تحقيق ما هو أعظم، وهو كالبناء

بدايته وضع حجرة على الأرض، ثمّ يصبح صرحا شامخا وكأنّه يريد أن يفتق الأرض بالسّماء ثانية، فهكذا هو الارتقاء تطلّعا يجسّد الطّموح، ويمكّن من بناء حضارات أهلها يسودون ثمّ يفنون، وتبقى الحضارة تاريخا متكئا على الارتقاء علمًا وفكرًا وقيمًا وفنًا وثقافةً وإعمارًا وبناءً.

ولأنَّ التَّاريخ البشري مليء بالتّجارب النَّاجحة، وكذلك الفاشلة، فهو قد مرّ بنشوء حضارات سادت ثمّ بادت وحلّت محلّها حضارات أخرى، ففي تلك الأحقاب سادت حضارة عاد وثمود، ومن بعدها حضارات الغرب، وحضارة الفرس، وحضارة الإسلام والعرب، واليوم حضارات الشّعوب تتداخل لتسود القرية الصّغيرة، فهي بالرّغم من تنوّعها، فإنّها حضارة أمّة واحدة، إنّها تقدّر الخصوصيّة، وتُمكّن من الاندماج علمًا ومعرفة، وتقنية وإعمارا، وتؤكّد قيمة الإنسان في ممارسة حقوقه، وأداء واجباته، وحمْل مسؤولياته وبكلّ شفافية.

ومع ذلك فالإنسان دائمًا في حاجة للارتقاءً؛ فهو يسعى من أجل حياة أكثر أمنا، وأكثر نعيما، وأكثر عدلا، وأكثر رفاهية ورقيّا، فقيمة الإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، تستوجب تقديرا عاليا، ورعاية صحية متقدّمة، وتعليما يخلّص من أيّ تأزمات تحدث، ونُظم تُمكّن من التمدّد بكلّ حرّية دون أن يحدث أيّ تماسّ مع تمدّد الآخرين بكلّ حرّية.

ولكن هذه لن تتحقّق ما لم يرتقِ الإنسان عن مثيرات الشّهوة، وإغواءات النَّفس، ومغريات الحياة الدّنيا (السُّفليَّة)، وتفضيلات الأنا على

حساب الغير، وألا يتردّد، والخوف ضرورة من أجل مستقبل ناهض وسلامة وأمن يمكّننا من بلوغ الخوارق تحدٍ للحاضر بما هو أكثر جودة.

ولذلك فالاختلاف لن ينقطع بين النَّاس بما أنّ هناك من يرى القيم والفضائل أساس العمل والتقدّم والارتقاء، ومن يراها لا تزيد عن كونها قيودا ينبغي لها أن تزال متى ما تعارضت مع المصلحة الخاصّة، ومع وجود الاختلاف، فلا وجود لما يعيق ولادة الخوارق، بل الاختلاف هو المحفّز تحدٍ ومنافسة على ولادة المزيد من الخوارق تحدّ لكلّ الصِّعاب.

ومن ثمّ فالرّغبة في بعض الأحيان تتمركز على (الأنا) أنا ومن بعدي الطّوفان، وهنا تكمن العلّة، وحتى لا تكون الأنانيَّة القاتلة؛ فعلينا بتضافر الجهود والنّهوض معًا حتى نقضي على عوامل الشّد والتخلّف ونرتقي تقدّما ونهضة من بعدها نهوض مع أملٍ ناهض.

وحتى لا تكون العلّة نهاية المطاف فينبغي لنا بلوغ الحلّ الذي يحتوي في مضمونه قبول الآخر (هو كما هو)، والعمل معه (من حيث هو)، من أجل الارتقاء معًا إلى مستقبل مأمول، فالفرد وإن خُلق فردا فهو لم يُخلق وحيدا، ولهذا، لا ينبغي أن يفكّر وحيدا، ولا ينبغي أن يعيش وحيدا، بل ينبغي أن يفكّر حتى يعرف كيف يفكّر جماعيا، وأن يعمل مع الآخرين ارتقاءً بغاية ما يجب.

ولكي يتمكّن الإنسان من اتخاذ قراره عن وعي فعليه بمعرفة العلاقة التي تربط قوَّة قراره بقوَّة اتخاذه، فقوَّة القرار تكمن فيما يحقّقه من فوائد،

وما يترتّب عليه من ارتقاءً مأمول، وما يحدثه من مفاجآت موجبة، ومن ثم؛ فاتخاذ القرار ارتقاءً يُمكِّن من إحداث النُّقلة.

ولأنَّ صُنع الخوارق لم يكن مستحيلا فَلِمَ لا تُصنع باستمرار تحدٍّ للعقل بملكاته العقليَّة؟ فالعقل دائمًا هو مَكمن الخوارق، فمن بلغ عقله عقلا عن غير توقّع بلغ المعجز إعجازا، ومن بقي في دائرة المتوقّع فلا إمكانية لبلوغ الخوارق التي في النّهاية لا تكون إلّا في دائرة الممكن.

ولكن لكي تصنع الخوارق فهي في حاجة لمناخ مناسب؛ حيث لا قيود على التفكير الإنساني ولا موانع ولا تخويف من أحدٍ، بل المكتبات مليئة بالمصادر والمراجع والدّوريات العلميَّة، وأنّ المقرّرات المدرسيَّة والجامعيَّة معدّة على قاعدة كلّ شيء ممكن ولا استغراب، ثمّ أنّها تحرّض المتعلّمين على التحدّي وقهر الصِّعاب. وإلى جانب ذلك فالتحفيز يسرّع من إدارة العجلة تجاه التقدّم وإحداث النُّقلة وإيجاد ما لم يكن متوقعا.

وعليه:

. بلوغ الخوارق مُمكن فلا تستغرب.

. فكّر فيما تفكّر فيه حتى تبلغ خارقة.

. لا تستسلم للمتوقّع فقط وتغفل عن غير المتوقّع الذي يخرجك من زمن المفاجئات.

. لا تُوقِف تفكيرك عند حدود المألوف، فالتوقّف عند حدوده لا يمكّنك من بلوغ الخوارق إضافة معرفيّة.

. لا خارقة إلّا بمقدرة عقليَّة، فانتبه لنفسك ولما حولك ولما يجب حتى ولو تجاوزت المألوف بما هو موجب.

. الخوارق يتمّ اكتشافها بين الفجأة والانتباه، فانتبه واعلم أنَّ السّرحان مضيعة للوقت فلا تعوّد نفسك وعقلك الخوض فيه ضياعا.

. اكتشاف الخوارق أو بلوغها يُمكّن من معرفة قوانينها تاليا، أي إنَّ الخوارق تكتشف أوَّلًا ثمّ بعد الاكتشاف يتمّ التعرّف على القوانين التي هي عليها.

. معرفة الخوارق تمكّن العقل من التحدّي والبحث عن المزيد.

. معرفة الخوارق تحدٍّ للصّعب وقهره.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المعجز تسليمًا.

. معرفة الخوارق تمكّن من معرفة المستحيل والوقوف دونه مستحيلًا.

. صُنع الخوارق لا يكون إلّا تجاوزا للقولبة والتمنهج وأساليب الرّتابة المملّة.

. صُنع الخوارق يظهر أو يوجد ما لم يكن ظاهرًا أو موجودًا معرفيًّا.

. صُنع الخوارق صور تُنتج على غير هيئة مسبقة.

. يعد استخراج الشيء من الشيء على غير مألوف خارقة عقليَّة.

ولهذا ينبغي للإنسان أن يعوّد نفسه على الأخذ بالمنهج العلمي ويفضّل أن يتجاوزه معرفة بما هو أكثر تيسيرا حتى وإن كان نتاج وقته، وعليه بقبول الصِّعاب والعمل على تحدّيها حتى تُهزم[18].

التأهّب لتحدّي الصِّعاب:

التأهُّب مرحلة من مراحل الإعداد والاستعداد الممكِّن من الاقدام على الفعل أو العمل أو السُّلوك، والمتأهَّب لا يكون إلَّا وأمر العودة إلى الخلف لن يعد بالنّسبة إليه إلَّا كرهًا، ولهذا فالتَّأهُّب لا يكون إلَّا عن تصميم؛ إذ لا مجال للتردُّد.

والتأهُّب مرحلة قيميَّة متجاوزة لمرحلة التهيؤ وإعداد العُدّة والاستعداد، أي: إنَّها المترتبة عليها جميعًا فلو لم تسبقها إنجازا وتحقّقًا ما كانت؛ ولذا فالتأهّب قيمة تلفت الانتباه الفكري والعقلي لِما هو آتٍ أو متطلّع له بهدف تحسين الأحوال أو إحداث النُّقلة من مستوى قيمي أدنى إلى مستوى قيمي أعلى، وإذا لم يتأهّب الإنسان لصناعة مستقبله فلا يمكنه صناعته، ومن يتطلّع تأهّبا لما هو مأمول ويسعى إليه عملًا يبلغه غاية، وهنا يعد التأهّب التطلّعي مرحلة من مراحل الوعي الفكري والثَّقافي، فيها تمتدّ الذّات من حيّز التمركز على ذاتها، إلى مجال التطلّع تجاه الآخر الذي له من الخصوصيات التي تميّزه عن غيره، ممّا يجعل الذات

[18] عقيل حسين عقيل، صنع المستقبل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 85 . 118.

في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع قادرة على نيل كلّ ما من شأنه أن يحقق لها الفائدة والمنافع.

فالتطلُّعيَّة تعد منطقة وسطا بين الذَّاتيَّة والموضوعيَّة، وهي مجال النشاط الفكري والسّلوكي المتميّز عن (الذَّاتيَّة) والمتميّز عن (الموضوعيَّة)، ولكنَّه في الوقت ذاته مكوّن مشترك بين مقوّمات الذَّاتيَّة ومقومات الموضوعيَّة، ممّا جعله قاطعا مستقلا بذاته في خماسي تحليل القيم19.

وعندما تقتصر رؤى الشَّخصيَّة على مكوِّنات الذّات القيميَّة، توصف بالذَّاتيَّة، وعندما تستوعب تلك الرّؤى وتستوعب إلى جانبها ما ينبغي لها أن تقوم به أو تفعله وتسلكه تجاه الآخرين، حينها توصف الشَّخصيَّة في هذه الحالة بأنّها منطقية أو تطلّعية، حيث تتطلّع إلى ما هو أفضل وفقًا لافتراضاتها المنطقية لِما هو متوقّع أو مفترض، وبالتالي تقبل تحدّي الصّعاب التي تقف في سبيلها.

والمحذور الذي قد يظهر في هذه الشَّخصيَّة المتطلِّعة، هو ليس كلّ ما يمكن أن يتأهّب له تطلعا يكون بالتمام على الحقيقة المتوقّعة؛ ذلك لأنَّ المتوقّع المتطلّع إليه تأهّبا بالضرورة يحتاج إلى زمن ومبررات الإثبات أو النفي؛ ولذا فإنَّ الأحكام التي ستثبته مؤجّلة، فإذا سلكتْ الشَّخصيَّة أو فعلتْ أو حكمتْ وفقًا لافتراضاتها فقد تفعل أو تسلك خطأ؛ ولذا فعليها أن تنتظر إلى أن تتبيّن حتى لا يقع الخطأ.

---

[19] عقيل حسين عقيل، خماسي تحليل القيم، دار الكتاب الجديد، بيروت، 2004، ص 38.

وعليه: فالإنسان المتطلّع تأهّبا للحقيقة بمنطق قيميّ معرفي، هو في حالة تطلّعيّة، أي: إنَّه في حالة النُّقلة، من التمركز على الذّات والرّكون إليها إلى حالة الاتزان النَّفسي الذي يتفاعل مع قيم المجتمع وعاداته وأعرافه ومعتقداته، ثمَّ يتفاعل مع كلّ ما هو مفيد لدى الآخر، وليس بمنغلقٍ على ما يقصره دائمًا على تراثه القيمي، بل هو من يكون في حالة امتداد موجب مع الثقافات والأفكار الإنسانيَّة الأخرى، وفي الوقت ذاته لا يُفرِّط في خصوصيّته الذَّاتيَّة التي جعلت له تاريخا وفيه ما فيه من الكنوز المعرفية والقيميَّة، ومن هنا فالشَّخصيَّة التطلُّعيَّة شخصية متأهبة ومتحدية لأمر الواقع عندما يكون ساكنا ولا فوائد.

وبعد أن كانت المغالبة في المستوى الذاتي للعاطفة في تقييم الآخر ومعتقداته وأفكاره وحضارته، بدأت المشاعر والأحاسيس الذَّوقيَّة بالخوف تتهذّب تدبرا وتطلّعا تجاه ما يُفيد عند الآخرين دون إقصاء لأحدٍ منهم، إنَّها الشَّخصيَّة الاستيعابية المتأهبة لقبول الآخر أو مواجهته بأحكام ورأى منطقية.

إذن: التطلُّعيَّة تأهّبا هي الشَّخصيَّة التوافقيّة، التي تستوعب قيم وفضائل (الذَّاتيَّة) وتتفتّح بإرادة ومنطق على الآخرين دون أحكام مسبقة؛ وذلك لاعتمادها قيمة الحرّيّة في كلّ اختياراتها؛ فهي تتفاعل مع الحقّ والعدل والواجب والمسؤوليَّة على مستوى الذات ومستوى الآخر، وعندما

تتأهّب الشَّخصيَّة لتجسيد هذا المفهوم التطُّلعي توصف بأنّها متطلعة ومتأهبة ومتحدية للصِّعاب وحجّتها الفكريَّة المنطقيّة.

ولذا فعندما لا تسيطر العاطفة أمام العقل على الفعل والسّلوك بالتمام، يُفسح مجال جديد للعقل والنَّفس وتتأهّب منطقًا بأن يكون التفكير فيما يجب، ممّا يجعل النَّفس تسعى لِما يُفترض أو تميل إليه، والميل هنا موجب، حيث التأهّب والتطلُّع للأفضل، الذي يحافظ على الهويّة والخصوصية، ويمتدّ من أجل أن يتعرّف على الجديد المفيد، ويسعى إلى الحصول عليه تحديا للرتابة المعتادة. وهذا لا يعني أنَّ كلّ تأهّب وكلّ ميل هو موجب، فعندما تتأهّب الشَّخصيَّة وتميل من حالة التمركز على الذات إلى حالة التخلي عن بعض من مكوناتها القيميَّة تصبح الشَّخصيَّة على حالة من الإنسحابيَّة، فتوصف في هذه الحالة بالشَّخصيَّة الإنسحابيَّة التي تتخلى عمّا يجب الأخذ به، وهنا يصبح التحدّي سالبًا كون الشَّخصيَّة أصبحت تتخلى عن بعض القيم الحميدة دون مبالاة، أي: أصبح التحدّي للقيم الحميدة تخليا عنها.

أمّا التطلع الموجب فهو الالتفات إلى ما يفيد علمًا ومعرفة ورؤية دون أن يكون على حساب قيم الذَّاتيَّة، فتصبح التطلُّعيَّة تأهّبا هي مرحلة من الوعي يُمكّن الذات من استيعاب دورها وما يجب أن تفعله مع الآخر، حتى لا يحلّ ما يخيف محلّ ما يجب.

ولأنَّ التطلُّعيَّة هي حالة تأهّب ووعي بالمحيط المعرفي والثَّقافي والحضاري، فهي تعد مرحلة نضج، به تتمكّن الشَّخصيَّة المتطلّعة من الإلمام بالموضوع المشترك مع الغير كواقع لا مفرَّ من التعامل معه.

ولأنَّ (الذَّاتيَّة) هي ما يدور من حوار بين الرّغبات والمطالب، والحاجات والبواعث، والحقوق والواجبات والمسؤوليَّات في حدود الدّين والعرف والقيم السَّائدة، على مستوى المجتمع أو الدّولة، حيث ثبات الذّات وتغيّر الأدوار وتنوّع المواضيع، فإنّ التطلُّعيَّة هي درجة من الاعتراف بأنَّ للآخر رغبات ومطالب وحاجات وبواعث مشبعة، وحقوقًا وواجبات ومسؤوليَّات ينبغي لها أن تُقدّر وتحترم، وإن لم تُقدَّر وتُحترم ستكون العواقب غير محمودة؛ ولذا فمن غير المنطقي أن يتمَّ تجاوزها أو إغفالها؛ كي لا تُمسّ ولا تؤخذ بما هو على حسابها.

وللتمييز بين المستويات القيميَّة للشخصيَّة المتأهّبة أقول:

1 ـ الأنانيَّة: معيارها الشخصانيَّة (أنا كلّ شيء).

2 ـ الإنسحابيَّة: معيارها نفعي انسحابي (أنا أوَّلًا، وإلّا..).

3 ـ الذَّاتيَّة: معيارها العاطفة (نحن كلَّ شيء).

4 ـ التطلُّعيَّة: معيارها المنطق (حُجّة بحُجّة).

5 ـ الموضوعيَّة: معيارها العقل (نحن معا).

وعليه: عندما يخاف الإنسان من المظالم، يتأهّب للتمسّك بالقيم والمعايير الاجتماعيَّة التي تستنبط من الإطار المرجعي لمجتمع العاطفة، ويقدّر قيم الآخر ومعاييره، في هذه الحالة تعد ذاته في حالة تطلّعيّة، وعندما يتمسّك الإنسان بالقيم والمعايير الخيّرة بغض النّظر عن مصادرها، تؤسّس أحكامه على الموضوعيَّة، وتُعد معاييره إنسانيَّة؛ ولذا عندما تميل كفّة المعايير العامّة بمنطق على حساب كفّة المعايير الخاصّة، حينها تتأهّب الشَّخصيَّة وتميل إلى الموضوعيَّة فتوصف بالتطلُّعيَّة، وعندما تتأهّب وتميل إلى ذلك دون حُجّة ولا حقيقة، تصبح الشَّخصيَّة في حالة ميلان إلى الأنانيَّة.

ومع أنَّ المنطق يَفترض أنَّ النَّاس متساوون في الحقوق والواجبات والمسؤوليَّات، فإنَّ الواقع قد يُثبت غير ذلك، حيث نجد البعض من بني الإنسان في حالة إشباع، والبعض في حالة عوز، والبعض في حالة ادّخار بعد الإشباع، وآخر في حالة شُح، والبعض الأخر في حالة إيثار حيث يُقدِّم من هو في حاجة أو من هو أفضل على من هو أقل؛ ولذا فالشَّخصيَّة المؤثرة، هي الشَّخصيَّة المنطقية التي تميّز بين ما يجب وما لا يجب، وعندما تحتكم بالمنطق تقول الحقّ وتفعل صوابا مصداقا لقول الله تعالى: {وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ}[20].

[20] سورة الحشر، الآية 9.

وهنا فالشَّخصيَّة المتطلِّعة لا تقتصر أهدافها وغاياتها على الظّرف الآني، بل تمتدّ منه تحدّيا لكل عوامل الشّد إلى ما هو مستقبلي، فتتأهّب للمغالبة وتميل إليها[21].

تحدّي الصِّعاب تبوَّأ مكانة:

مع أنَّ المكانة ذات مفهوم معنوي فإنَّ تبوّؤها يزيد إلى رّصيد أهلها رصيدًا به يفخّمون ويعظمون، ومع ذلك فتحدّي الصِّعاب لا يكون إلّا بقبول دفع الثَّمن جهدًا وعطاءً وعملًا جادًّا ومنتجًا، ومن يقدم على ذلك ينال مكانة بين النَّاس تقديرًا واحترامًا، والمكانة تبوّأ لا يكون إلَّا على الرّفعة المأمولة من أهل الدّراية والمعرفة، وهي ما يبلغ بالكلمة الحجّة والعمل المنتج والخُلق الرّفيع، وهي التي تنال التقدير والاعتبار من قِبل النَّاس، والنَّاس تأملها وتسعى إلى ترسيخها قيمة.

والمكانة لا تكون إلّا على الرّفعة، ولا تترسّخ ارتقاءً إلّا بها، ومن ثمّ؛ فمن أراد أن يكون له شأن فليعمل على تحقيق المكانة قيما وفضائلَ، وإذا أراد الإنسان أن يرتقي قيما وفضائلا فليأخذ بمفاتيح العلم، ويبدأ إصلاح حاله من حيث هو، حتى يهيئ نفسه ويتأهب للعمل من أجل تحقيق ما ينبغي له أن يكون عليه ارتقاءً مأمولا.

ولكي يبلغ الإنسان مأموله قيما وفضائلَ فعليه أن يكون قدوة حسنة لبني جنسه، فإذا حكم عدل، وإذا شهد، شهد حقّا، وإذا عاهد أوفى،

[21] عقيل حسين عقيل، الفاعلون من الإرادة إلى التأهب، مكتبة الخانجي، ص 262 . 267.

وإذا قال صدق، وإذا عمل أحسن عمله، وإذا تعلَّمَ علَّمَ، وإذا اكتال أوفى، وإذا رأى فتنة بين النَّاس أصلح، وإذا غضب تملّك نفسه، وإذا ذُكِر بخيرٍ فعليه بالمزيد، وإذا ذُكر بسوءٍ فليصفح وليعفو، وهنا بالتمام يكمن التحدّي الذي يجعل للإنسان مكانة مقدَّرةً بين النَّاس.

ولذلك فالتمسّك بالقيم لكونها قيما لا يفيد، بل المفيد العمل بها قولا وسلوكا، ولهذا ينبغي أن يتشرّبها النشء تربية وتعلمًا وتعليما حتّى يجسدوها سلوكا؛ كما جسدها أهل المكانة.

فأهل المكانة هم دائمًا في علوٍّ قيمي قولا وسلوكا، علوٍّ عن الرّذيلة وما يؤدّي إلى ارتكاب أفعالها وأعمالها التي ترفضها القيم الحميدة والفضائل الخيّرة.

ولأنَّ الكبرياء تعظيم شأن؛ فهو لا ينال إلّا بالتحدّي لكلِّ معيب بما هو محبّب ومفضّل، وفي المقابل من لا يكون على الكبرياء قيما وفضائل لا يكون إلّا في دونيَّة وسُفليَّة؛ ولهذا فالبعض من أجل الكبرياء يتحدّى الصِّعاب وفي المقابل البعض يقدّم المزيد من التنازلات حتى يصبح خاضعًا لأمرٍ واقع.

إذن: المكانة والكبرياء تعظيم شأن؛ فالكبرياء كونه قيمة حميدة لتعظيم الشأن فهو الذي به يتمّ بلوغ المنزلة العالية والمكانة الرّفيعة، في مقابل آخرين لا ينزلون إلّا في الأماكن الدونيَّة التي لا تليق بأصحاب مكارم الأخلاق.

ومن بلغ المكانة العالية بلغ الرّفعة التي يأملها من خُلق في أحسن تقويم ولم يخالف، ومن بلغ المكانة عملًا وسلوكا نال الاحترام والتقدير والاعتبار من قِبل الغير؛ ولهذا فالمكانة تعظيم بما هو عظيم، ورفعة قدرٍ بما هو رفيع، فأهل المكانة يتّعظون بما هو عظيم ويأخذون العبر من كلّ عبرة ومعتبر.

ولذا فأهل المكانة لهم من الكبرياء ما لهم، فأصحابها يتكبّرون عن كلّ ما من شأنه أن يسيء للقيم والأخلاق والأعمال والأقوال الصّائبة، فالكبرياء تعالٍ عن كلِّ ما يؤدّي إلى الفتنة، أو يسيء للنّاس، ممّا يجعل الكبرياء هو المحقّق لرفعة المكانة المقدّرة والمعتبرة، ويجعل لصاحبها شأن بما اختار أن يكون عليه تحدٍّ وبذوقٍ رفيع.

وعلينا أن نميّز بين قيمة التكبُّر والاستكبار؛ فالتكبّر قيمة حميدة لتعظيم الشأن بعدم النزول في منازل السّافلين، كالتكبّر عن القول الزّور وعن أيِّ نعوت لا حقائق تسندها، وهو التكبُّر عن الأفعال التي لا تليق بمكارم الأخلاق، وهو الإخلاص في العمل مع وافر الأمانة، وهو السّلوك المثال الذي لا يقدر عليه إلّا من له مكانة مقدّرة. أمَّا الاستكبار فهو الاستعلاء عن الحقيقة والجحود لمبرراتها ومعطياتها وهو معاندة بدون حُجّة دامغة، فالمستكبر يقف على الحقيقة ويغض النّظر عنها، بعدم اعترافه بأنّها الحقّ، مع العلم أنَّ هذا الأمر لا يُنقِص من شأن الحقيقة، بل يُنقص من شأن المستكبر عليها بغير حقٍّ.

وهذا يعني أن للتكبّر صفتين:

الصفة الأولى: هي التكبُّر بالحقّ، عن المظالم وعن الأعمال الوضيعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، وهذه من صفات الذين يقولون الحقّ ويعملون على إحقاقه، أي: إنَّهم الذين يتعالون عن المكر والكيد وسفك الدّماء في الأرض بغير حقّ وإذا حكموا بين النَّاس حكموا بالعدل، وإن قالوا صدقوا، وإن عملوا أصلحوا وإن عاهدوا أوفوا.

الصفة الثانية: التكبُّر عن الحقّ، بالحياد عنه والميل كلّ الميل إلى ما يؤدّي إلى إخفائه ومغالبته بالباطل، والمتكبّرون عن الحقّ همّ الذين يقومون بأعمال الوضاعة التي تقلِّل من شأن مرتكبيها، بما يقدمون عليه من أفعال لا تُرضي النَّاس، وهؤلاء همّ الذين إن قالوا كذبوا، وإن عملوا أفسدوا وإن عاهدوا أخلّوا ونقضوا.

وعليه فإنَّ للتكبّر مبرراته؛ لكونه قيمة حميدة؛ ولهذا تُحرّف القيم وتقوّض من قِبل أولئك الذين ضلُّوا فأفسدوا فظلموا فطغوا وتكبّروا كما طغى وتكبّر من قبلهم المتكبّرون بغير حقّ، ولكن دائمًا التَّاريخ يمدّ بالعبر فمن أراد أن يعتبر فعليه بالتَّاريخ لأخذ العبر منه، ومن لم يرغب في ذلك فالحاضر يكفيه درسا حيّا.

ولذا فالمفسدون همّ الذين يتكبَّرون عن الإصلاح، أمَّا المصلحون أهل المكانة فهم الذين يتكبَّرون بفعله، قال تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

اسْجُدُوا لِآَدَمَ فَسَجَدُوا إِلّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ}[22].
إنَّ استكبار إبليس كان استكبارا عن الحقّ، أمَّا تكبُّر الملائكة فكان تكبرا بالحقّ، وهنا فالسّجود يدلُّ ويُعَبِّرُ عن الطَّاعة وبلوغ المكانة الرّفيعة التي تؤمل من الخيِّرين.

والمتكبّر بظلمٍ هو الذي يعرف الحقيقة ويأبى إظهارها، ولا يأخذ بها، أمَّا المتكبّر بالحقِّ فإن دعي لنقيصة تكبَّر عنها، وإن دعاه سائل استجاب وفق استطاعته، وإن لم يستطع فلا ينهر؛ ولذا فالتكبّر صفة محتملة للإيجاب والسّلب، فتكبُّر العبد عن ارتكاب المظالم وارتكاب المعاصي قيمة إيجابية، وفي المقابل ارتكابه للأفعال الذميمة والمفسدة في الأرض قيمة سلبية؛ ذلك لأنَّ الكبرياء لا يكون إلّا نقاء وصفاء مع الأنا الذي فيه كبرياء المخلوق ورفعة مكانته، والذَّات التي فيها كبرياء المجتمع، وكبرياء الضّمير الذي فيه تُقدَّر الإنسانيَّة؛ ولذا ينبغي للإنسان أن يتكبّر عن:

الجهل:

فالجهل أساس كلّ داء يصيب المجتمع الإنساني تخلّفًا؛ لأنَّ الجهل من شأنه أن يؤدّي بالإنسان إلى الانحطاط في أماكن الرّذيلة والمفاسد، والذين يتمسّكون بالجهل بأسبابه، فهم في حاجة لمنقذ يخرجهم من ظلماته إلى نور الإيمان والعلم والمعرفة التي بها يرشدون.

[22] البقرة، 34.

ولأنَّ الصّراع من البدء الخلقي هو صراع بين جهل وعلم (شرّ وخير)؛ لذا فبالعلم تتحسّن الأحوال وبالجهل تسوء، ولأنَّها كذلك فالصّراع بين الخير والشرّ لم يحسم أمره بعد؛ فهو باقٍ ما بقي الجهل في مضادة العلم؛ ولهذا فالذين يجهلون حقيقة أنّ استقرار أمن الوطن يكمُن في حقوق تمارس وواجبات تؤدّى ومسؤوليَّات يتمّ حملها، لن يناموا ساعة واحدة نوما هادئا وهنيئا، والذين يعلمون حقيقة ذلك ينامون في أوطانهم نوما آمنا هنيئا بمشاركة النَّاس فرحتهم بالممارسة الفعلية للحقوق والواجبات والمسؤوليَّات مع توسيع دوائر المراقبة والمحاسبة والمسائلة للجميع إذ لا قمّة سلطانية إلّا من الشّعب، ممّا جعل الحكّام في دول ممارسة الحرّية بأسلوب ديمقراطي يختارون عن إرادة لفترة محدّدة دستورا، وهم بذلك يقبلون ولا يتجاوزون قرارات ودستور الشّعب قمّة؛ ولهذا لا وجود للمؤامرات ولا الانقلابات ولا المظالم التي تدور رحاها في أوطان التكميم.

الشهوات:

إنَّها الشّهوات التي خلقها الله تعالى فينا، ولكنّ البعض لم يحسن فهمها، وتهذيبها وضبطها والسّيطرة عليها، ممّا جعلها هي المسيطرة والقائدة للباطل والمفاسد، قال تعالى: {زُيِّنَ للنَّاس حبّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَآَبِ}[23]؛

[23] آل عمران 14.

فالشّهوات متوافرة في الحياة الدّنيا، ولكنّ البشر تفاوتوا في التعلّق بها، فمنهم من اشترى الحياة الدّنيا بما تحويه من هذه الشّهوات، ومنهم من اشترى الآخرة بما فيها من خير عظيم وفوزٍ دائم، ولأنَّ الإنسان خلق ليكون إنسانا بحقّ في هذه الحياة الدّنيا، فلا ينبغي له أن يقصر شهواته على الدّار الآخرة كما لا يقصرها على الدّار الدّنيا؛ ذلك لأنَّ الخالق خلق الإنسان في أحسن تقويم؛ ليكون وارثا في الدّارين، ولهذا لا ينبغي للإنسان أن ينسى نصيبه من الدّنيا، ولكن لا ينبغي له أن يتجاوز الحدود القيميَّة والفضائلية التي أقرَّ لها الخالق حدودا، ليكون فائزا في الدّارين.

وعليه: نلاحظ عندما تبدأ الدّعايات الانتخابية في أوطان المتقدّمين علمًا وثقافة تُكشف الأوراق من قِبل الجميع حتَّى لا يكون الرّئيس المنتخب متّهما بارتكاب المفاسد الأخلاقيّة والسياسيَّة والاقتصاديَّة؛ ولهذا يكون الاختيار بين الأفضل ومن هو أفضل منه، والأقدر والأكثر مقدرة، أمَّا في بلدان الغير فغير ذلك، الحاكم يورّث حكمه أوَّلًا لأبنائه، وإن لم يكن له أبناء فلإخوته، وإن لم يكن له إخوة فالأقربون الأقربون، وهكذا حتَّى بلوغ القبيلة والعصبيّة.

إذن: عندما يقبل الإنسان أن تسيّره الرّغبة فبصيرته تعمى وتقوده نحو الانحطاط؛ لذلك لا بدَّ للإنسان من الترفّع عن هذا الانقياد الأعمى للشّهوات، ورفض سيطرتها عليه، وأن يتكبّر عن هذه المفاسد المدمّرة، فبتكبّره الإيجابي هذا سينال المنزلة الرّفيعة والمكانة العالية، وسينال احترام

نفسه واحترام النَّاس من حوله، فالشهوات عندما تجعل الإنسان عبدا لها لا يملك لنفسه شيئا أمامها سوى الضّعف والوهن والقبول بالانقياد أمام ما يشبع الشّهوة ولو كانت مفاسد بيّنة[24].

ولأنَّ أمر المكانة متعلّق بالرّفعة وتحقيق الأمل فمن يبلغ المكانة بلغ الأمل الذي لم يبلغه الغير، ومع ذلك وراء كلّ مكانة مكانة لآمال أرفع[25].

تحدّي الصِّعاب كسر قيد:

مع أنَّ القيد في مفهومه مادَّي محسوس، فإنَّ استمداد المفهوم منه امتدَّ به إلى ما يقيد الإرادة ويقيد ممارسة الحرّيَّة وأساليبها؛ ولهذا فكما أنَّ السّجن قيدٌ، فكذلك المنع من ممارسة الحقوق، وأداء الواجبات، وحمل المسؤوليَّات قيدًا.

ومن هنا فالقيد ما يعيق الحركة الحرَّة، ممّا يجعل المتحرِّك في حالة عدم توازن، وهنا لا أعني به قيد الحيوانات، بل أعني به قيد الحرّية، إنّه القيد الذي لا يكسر إلّا بالتحدّي، والقيد الذي ينبغي أن يتمّ تكسيره هو ذلك القيد الذي أنتجته المظالم والإقصاءات التي تحرم البعض من ممارسة حقوقهم بإرادة، وهو نتاج تلك الإجراءات التي تغيّب العدالة وتُقَوِّيض الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، وتُمكّن البعض من الهيمنة على ممارسة السّلطة واحتكار الثروة في مقابل حرمان البعض منها.

---

[24] عقيل حسين عقيل، تقويض القيم من التكميم إلى تفجّر الثورات، ص 60 . 66.

[25] عقيل حسين عقيل، منابع الأمل، مكتبة الخانجي، القاهرة، ص 131 . 138.

ولذا فكلّ ما يُقيّد حرّية الإنسان يعد قيدا (فينبغي أن يُكسّر)، ومثل هذا القيد لا يكون إلّا بعلل أفعال المظالم وأعمالها، ومن ثمّ: يعد القيد استثناءً، في مقابل القاعدة التي لا ترى الإنسان إلّا حرًّا؛ ولهذا فكسر القيد يدعم القاعدة ويقوّض الاستثناء.

والقيد مع أنّه مولود الفكرة، فإنَّه لا يعد قيمة، بل الذي يعد قيمة ومنبعًا لتحقيق الآمال هو كسر القيد؛ ومع ذلك لو لم تكن الفكرة ما كان القيد؛ فالإنسان عندما لم يستطع ضبط نفسه عن إرادة، فكّر حتى أوجد قيدا لضبطه، وبعد أن قُيّد به، بدأ يبحث تفكيرا في كيفيَّة فكّه وبكلّ ما يتيسّر له من حيل، ومع ذلك بقيت حياته بين القيد وفكّه؛ ولذا فإذا أراد الإنسان الحرّيّة بلا قيود فعليه أن يقبل التنازل عن عقله كي يستطيع في دائرة الممكن أن يفعل ما يشاء متى ما يريد، ولكنّه نهاية سيعرف أنَّ للحرّية ثمنا، وهكذا إذا أرد الاثنين معا فعليه أن يقبل بحياة المساجين الأحرار التي يشار إليها بالقضية:

(كل أ ليست أ)

فنحن بني آدم لولا العقل وما نفكّر فيه ما عرفنا المرغوب والممنوع، ولا المحلّل والمجرّم، ولولا العقل والفكرة ما استعملنا كلمتي: (قف وسر)، ولا كلمتي: (لا، ونعم)، ومن ثمّ؛ فإن لم يقيّد الإنسان نفسه عقلا، سيجد نفسه مقيّدا من قِبل الغير، بفكرة القيد التي أنتجها عقله، ومع أنّ السّجن هو السّجن فإنَّ تدبّرا إن وَضع الإنسان نفسه في قيد عقله فهو على

الأقل أصبح يمتلك الإرادة، ولكن إن وُضع القيد في يديه كرها؛ فهل يمكن له أن يكون على شيء من الإرادة؟

وإذا سلّمنا أنّ العقل الإنساني هو الذي يقيّد نفسه، ألا نسلّم بأنّه قادر على فكّ قيده عن نفسه ارتقاءً؟

لا شكّ أنّه سيكون قادرا إذا قبل التوقّف عند حدوده، ولا يتمدّد على حساب حدود الغير، ولكن إن تمدّد؛ فسيجد نفسه سجين تلك الفكرة التي أنتجها قيدًا لا أملًا.

ولمتسائل أن يتساءل:

هل الأبوة والأمومة قيدان أم أنّهما منبعا ولادة الإرادة الحرّة؟

الأبوّة والأمومة منبعا إشباع العاطفة، وهما المأمولان في الذّاكرة الإنسانيَّة، وهما مكمن ولادة المحبّة، وهما الحضن الدّافئ للأبناء، وهما القيد الذي لا ينبغي كسره قال تعالى: {وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا}[26].

ولهذا وجب طرح السؤال: هل (لا) تعد قيدًا أم أنّها مجرد أداة ناهية وغير ملزمة؟

[26] الإسراء 23، 24.

أقول:

لقد ورد معنى (لا) في الآية السّابقة نهيا قاطعا: (فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا) أي: لا حرّية لك في أن تقول لوالديك (أفّ)، وهذا يعني أنّها قيد، وفوق ذلك فهي تعني: ليس لك إلّا القبول. وليس القبول فقط، بل يجب أن تقول لهما قولا كريما (وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا) بمعني: لا مجال للرّفض إلّا القبول، وفوق التقبّل أن تقول لهما: (قَوْلًا كَرِيمًا)، وفوق القول الكريم أن تخفض لهما جناح الذّل من الرّحمة: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ)، وفوق ذلك أيضًا أن تسأل الله أن يرحمهما: (وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا).

إذن: تعد (لا) قيدا يستوجب الاحترام والتقدير بعد الأخذ بما نهت عنه، ومع ذلك لا يعد القبول مطلقا، وفقًا لكلّ قاعدة استثناء، والاستثناء جاء في قوله: {وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا}[27].

ولأنّ (لا) ناهية وقاطعة؛ فهي ناهية لما تنهى عنه استثناء، وبمراجعة النهي السّابق نلاحظ أنّها تنهى عن معصية الوالدين، وتوجب طاعتهما، وفي هذه الآية نلاحظ أنّها تنهى عن طاعتهما في معصية أمر الله النافذ: (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا) ومع

[27] لقمان 15.

أنّه لا يجب طاعتهما في أمر المعصية، ولكن يجب مصاحبتهما في الدّنيا معروفا حتى وإن ارتكبا فعل المعصية: (وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا).

ومن ثمّ؛ فالتساؤل: هل (لا) تعد قيدا، أم أنّها مجرد أداة ناهية وغير ملزمة؟

أقول:

إنّ (لا) الملزمة غير ملزمة، أي: إنّ (لا) التي يكون أمر نهيها ملزما، فأمر نهيها لا يكون إلّا استثناءً، بمعنى: لو لاحظنا أمر الأبوة والأمومة للاحظنا أنّ القاعدة هي: طاعة الوالدين، والاستثناء هو عدم طاعتهما، ولأنّ لكلّ قاعدة ما شذ عنها، فمن لا يطيع والديه يعد قدّ خرج عن القواعد القيميَّة المقدّرة، وبالتّالي يجب أن ينهى عن الخروج عنها، إلّا استثناء بعلل المخالفات المنحرف أصحابها.

ولهذا؛ فدائمًا (لا) النّاهية لا تأتي إلّا استثناء، ولأنّها لا تكون إلّا استثناء فهي قيد لا يجوز إلّا استثناء. ومن هنا، تعد (لا) قيدا لا يكون إلّا في وجوبه (وفقًا للقاعدة)، وفي المقابل، من يستخدم (لا) في غير وجوبها، ينبغي أن تكسّر حتى لا تكون عائقا بين الإنسان وما يمكّنه من بلوغ الآمال التي تحقّق له الرّفعة والمكانة.

أمَّا التساؤل: هل الدّين قيد أم أنّه منبع قيم ممارسة الحرّية؟

أقول:

الدّين هو المغذي للقلب (طمأنة وسكينة)، والمغذّي للرّوح (أخذا وتجنّبا ونهيا)، والمغذّي للذاكرة بما يجب أن تكون عليه (تذكّرا وتدبّرا وتفكّرا)، وهو ما لم يخالف الطبيعة الخَلقيّة لبني الإنسان، من أجل تطابق العلاقة بين الأمل والدّوافع الممكّنة من بلوغه؛ ذلك لأنّ قواعد الدّين كلّ شيء مشاع لك أو لغيرك (للإنسان أو لغيره من المخلوقَات الأخرى)؛ ولهذا فما يحرّم على الإنسان لا يحرّم على غيره من المخلوقَات سواء المحللة له أو المحرّمة عليه، ولا قيود على المحلل، بل القيود على المحرّم والمجرّم، فآدم عليه السّلام وزوجه اللذان خلقا في الجنة، خُلق معهما كلّ شيء من أجلهما مشاعا، أي: كلّ شيء نافعٍ لهما لا قيود عليه، ولكن القيود النّاهية جاءت على كلّ ما يضر أو يترك ندما وألما، وهذا ما لم يعرفه آدم وزوجه: {وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ}[28]، ومن هنا: جاءت الاستثناءات جنبا إلى جنب مع كلّ قاعدة.

وعليه فإنَّ المشاعيَّة هي القاعدة، أمَّا النهي فهو الاستثناء؛ ولذلك فالمؤمنون يأملون بلوغ مجمع النعيم المشاع (الجنة)، أمّا الاستثناء فلا يكون إلّا بعلل الشذوذ عن القاعدة.

ولأجل ترسيخ القيم الحميدة، والفضائل الخيّرة وتبيان ما يجب وما لا يجب جاءت القوانين؛ لتنظيم العلاقات، أقصد بالقوانين تلك القوانين المشاعة، التي ترسّخ الإنسان قيمة، حيث لا يُحرّم عليه شيء هو حقّ له،

[28] البقرة 35.

ولا ينهى عن أداء واجب ينبغي أن يؤدّيه، ولا عن مسؤوليَّة تُحمل يجب أن يحملها ويتحمّل ما يترتّب على حملها من أعباء.

ومع أنَّ الإنسان خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه لم يُخلق على الكمال، حيث لا كمال إلّا للخالق؛ ولهذا فمن يرى نفسه على الكمال فقد خرج عن القاعدة وأصبح استثناء، وهنا يجب أن ينهى بأمرٍ وقانونٍ يجعله يتمددّ بحرّية إلى النهاية التي لا يكون فيها تمدّده على حساب تمدّد الآخرين.

والسُّؤال: هل القانون قيد أم أنّه نصوص لفكّها؟

أقول:

فلسفة القانون تمنح الإنسان فسحة التمدّد بحرّية حتى حدود الآخرين بلا تجاوز، أي: إنّ التمدّد هو المشاعيَّة، وفي المقابل الانكماش أو التجاوز هو الاستثناء، بمعنى لا ينبغي لك أن تتمدّد إلّا في مجالك الواسع، ولا ينبغي لك أن تتمدد على حساب تمدد الغير؛ والهدف من ذلك هو: وجوب التمدّد وهذه قاعدة، أمّا الانكفاء فهو الاستثناء بعينه.

ولأنَّ المجتمع البشري متضاعف الأعداد، ومتنوّع الرّغبات، وحاجاته متطوّرة وفي المقابل مشبعاتها بين كثرة وندرة وانعدام فهو بين هذا وذاك أصبح مضطرا لتنظيم علاقاته، وضبط أعماله وأفعاله وسلوكيَّاته، وتنظيم حياته؛ ممّا دعاه إلى سنّ القوانين الضابطة لذلك، ولكن أيّة قوانين؟ هل هي فاتحة الآفاق لممارسة الحرّية، أم أنّها المقيّدة لمن يأمل ذلك؟

القانون وفقًا للقاعدة الطبيعيَّة لا تقييد فيه؛ ذلك لأنَّه موجد التوازن والاعتدال؛ ولذا فمن لا يتوافق مع قوانين الخالق (القوانين الطبيعيَّة) يجد نفسه منحرفًا عن غير اعتدال، ثمّ منعوتًا بالشّذوذ عمّا يجب من قبل المتوازنين قانونا؛ ولهذا فالقوانين الطبيعيَّة متلائمة مع طبيعة المخلوقًات كونها خالقة التوازن والاعتدال، أمَّا القوانين الوضعية فهي بين توافق عن إرادة وتكيف لا يكون إلّا بقبول تقديم المزيد من التنازلات.

ولذلك ووفقًا للقانون الطبيعي فإنَّ كلمة (قف) تعني الاعتراف بوجودك وتقديرك واعتبارك، ولكن إن لم تقف عند حدّك الذي هو حقّ لك فستواجهك الصّدمة التي قد لا تكون متوقّعة من قِبلك، وهنا تكمن علّة التمدّد على حساب تمدّد الآخرين، فكلمة (قف) تدلّ على الإنذار ليس إلّا، ممّا يجعل الوقوف هناك عند نقطتها بلا مظلمة.

ومن خلال معرفتنا العامّة يقال: إنَّ الإنسان خطّاء، ولكن بالمعرفة العلميَّة من الذي سيخطئ؟ هل هو الإنسان العاقل، أم غير العاقل؟

أقول:

العاقل هو المعرّض للأخطاء، أمّا غير العاقل فخطؤه أمر طبيعي. وبما أنّ العاقل هو الذي يخطئ، إذن: الذي يفكّر قد لا يخطئ، بمعنى: لو فكّر العاقل في النتائج المترتّبة على الموضوع الذي يفكّر فيه، قد لا يخطئ، أمّا غير العاقل فهو (الحرّ) الذي لا يعرف الخطأ، وحتى إذا اتهم به نال البراءة من رؤوس العدالة.

ومن ثمّ متى ما انحرف العاقل عن قيد عقله تحرّر من اتجاهه، وإلّا هل هناك من يقول: نحن لم نخلق بعقل، ولم نسجن به؟

أقول:

نحن الذين خلقنا بعقل، ونحن الذين سجنّا به.

إذن: فالسّجن ليس الجدران والقضبان، بل العقل الذي يفكّر؛ ولهذا كلّ من لا يفكّر حرّ بطبعه.

والسُّؤال:

هل العقل قيد (سجن) في حدّ ذاته أم أنّ القيود خارجة عنه؟

إذا أجبنا بأنّ القيود خارجة عنه قد نسأل: لو كان الإنسان غير عاقل؛ فهل يمكن أن يفكّر في وضع قيود عليه؟ فإذا كانت الإجابة بلا، إذن الإنسان العاقل هو الذي قيّد نفسه. وهو الذي نقل لنا ما في ذهنه من موانع إلى صور وأشكال مادّية سُميت (السّجون) المحاطة بالجدران والقضبان الحديدية والحراس المزودين بالهراوات والأسلحة الحديثة.

ولأنَّ الإنسان العاقل قد يتهرّب من ضميره كضابط عام وضع لنفسه قانونا لضبطه، وشرطيًّا يقبض عليه متى ما خالف ذلك، وبعد تنفيذ القانون عليه، أحس الإنسان الذي أوجد القانون أنّه قد وضع على نفسه ضميرا ورقيبا خارجا عنه وقيدا عليه، فبدأ يفكّر في كيفيَّة خِداعه والتهرّب منه، ممّا جعل العلاقة بين الشّرطة والمواطن الذي تنازل عن ضميره علاقة

عدم ثقة ومطاردة؛ ولهذا لم يؤت الإنسان من العلم إلّا قليلًا، ولو أُوتى علمًا كثيرا لعرف أنَّ التنازل عن الضّمير هو تنازل عن العقل والحرّية؛ ولذلك لم يتطوّر إلّا بالقليل؛ فالإنسان الذي ولد كغيره من الكائنات الأخرى يصرخ متى يشاء ويصمت متى يشاء، ولد حرّا، ومع أنّه حرّ لكنّه لا يستشعر الحرّية، لكونه لم يدرك معناها بعد؛ حيث عدم نضج العقل الممكّن من معرفة الحرّية وكيفيَّة ممارستها قانونًا طبيعيًّا أو وضعيًّا.

وهكذا هي الحياة لا تكون إلّا على قوانين، ولأنَّ الحياة مؤسّسة على القانون فلا يمكن أن يكون القانون قيدًا إلّا إذا كان القانون استثناء.

وبناء على ذلك؛ فللمتسائل أن يتساءل: هل الزّواج الطبيعي هو قيد أم أنَّه دليل شاهد على المشاركة محبّة ومودة؟

أقول:

الزواج قيمة حميدة تحقّق الرّضا متى ما كان الزّواج غير متخالف مع قوانين الحياة الطبيعيَّة، وفي المقابل يفقد الزّواج قيمته الحميدة إذا حاد عنها، وأصبح على حسابها استثناء.

وعليه: فالتساؤلات التي تحمل في مضمونها قيدا لا تكون قيودا إلّا في حالات الاستثناء، وهنا لا تكمن العلّة في القوانين الطبيعيَّة بل تكمن العلّة فيمن لا تكون اختياراته وفقًا للقواعد الطبيعيَّة التي تأسّست عليها طبيعة الخلائق. وهذه النتيجة تحتوي كلّ التساؤلات الآتية:

هل الدّين قيد على الحرّية، أم داعم لها؟

هل القانون قيد على حرّية العقل أم لا؟

هل الأمومة والأبوة والمجتمع قيود على حرّية العقل أم لا؟

هل كلمة لا قيد على الحرّية أم لا؟

هل السّجون قيد من أجل الحرّية أم قيد عليها؟

هل الحكومة قيد على المحكومين أم لا؟

وهل يمكن أن تتحقّق الحرّية إذا اعتبرنا هذه قيود؟

وبناء على هذه الأسئلة، أتساءل:

متى ستتحرّر عقول النَّاس من التفكير فيما يُقلق وينتج ألما؟

لا إجابة إلّا بالعقل الذي يفكّر ويتذكّر ويميّز بين الحقّ والباطل الذي لولاه ما عرفنا المرغوب والممنوع، ولولاه ما استعملنا كلمتي (قف، وسر)، ولا كلمتي (لا، ونعم) فهذه الكلمات هي التي تنتج قولنا: (نعم) لما نريد، (ولا) لما لا نريد.

وعليه: ينبغي للإنسان أن يكون في عقله لكي يكون حرّا، وإذا خرج منه سيوضع فيه من قبل الآخرين بالقوَّة، وعليه أن يفكّر، ولكن إذا كان العقل سجنا فهل سيحقّق تطوّرا؟

السّجن منه الانفرادي والجماعي والاجتماعي؛ ولهذا في الدّول التي تهدف إلى التقدم لا يسجن المجتمع، بل يسجن الأفراد والجماعات الذين يحاولون إعاقة حركة المجتمع إلى التطوّر، أمّا في الدّول المتخلّفة فيسجن المجتمع بكامله تحت الأوامر والنواهي التي تعيق حركته إلى التطوّر، ممّا يجعل دور المدرَسة ليست مدرسة، ودور المدرس ليس بالمدرس، ودور الواعظ ليس بواعظ، وخطيب الجمعة ليس بالخطيب، وشيخ القبيلة ليس بشيخ، ورئيس الحكومة ليس بالرّئيس.

ومن هنا فالعقل الذي يحقّق التطوّر هو العقل العام، والعقل العام هو عقل المنافع الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة، أمّا العقل الذي لا يفكّر في محيطه؛ فهو في دائرة الاستثناء؛ ولهذا لا يحقّق التطور.

وإذا عُدنا مرّة ثانية للإجابة عن السُّؤال السّابق كيف يكون العقل سجنا ويحقّق التطوّر؟

أقول:

إذا سلمنا أنَّ العقل هو الذي قيَّد نفسه، ألا نسلّم بأنَّه قادر على فك قيده؟ وفي كلّ الأحوال إذا كانت الإجابة بنعم، هل يمكن أن يعيش الإنسان الحرّية ويمارسها بكامل عقله وفي الوقت نفس يكون على الإرادة والأخلاق؟

في اعتقادنا الإنسان بطبعه يغضب ويطرب، ويقبل ويرفض، وله حدود وفسحة امتداد، ومع ذلك قد يصعب عليه الالتزام والتوقّف عند الحدود، ولأنّه من الصّعب الالتزام بها، إذن: فمن الصّعب ألا يسجن؛ ومن ثمّ يتأكد لنا بأنَّ العقل سجن وعلينا احترامه لكيلا نسجن.

ومع ذلك لا يمكن أن يضع الإنسان القيد في عنقه بإرادة إلّا في حالتين: حالة الانتحار، وحالة فقدان العقل. وفي كلتا الحالتين هو في حاجة لمن يكسر القيد عنه حتى ولو كان بقيد آخر.

ولذلك ينبغي للقيود المكبّلة لممارسة الحرّيَّة أن تكسر؛ كونها شذوذًا عن القاعدة الخَلقيّة التي خُلق الإنسان عليها في أحسن تقويم. أي: ينبغي كسر القيد الذي وضعه الحاكم الظّالم في رقاب المحكومين؛ ولهذا فالمساءلة ضرورة موضوعيَّة تعيد المنحرفين عن انحرافاتهم سواء أكانوا حكّامًا أم محكومين، ولكن نلاحظ في الوقت الذي فيه يخضع طرف إلى هذا الإجراء من أجل ممارسة الديمقراطية في الوقت ذاته يخرج طرف آخر عن مراقبتها وهنا تكمن العلل.

والمعادلة التي قد تحتاج إلى ضبط وإلّا سيختل التنظيم الاجتماعي هي أنّ الشّعوب في زمن ما قبل العولمة كانت غير قادرة على السّيطرة على الحاكم، وبالتالي كان الترحيب حارًّا من قبل شعوب الدّول النامية بتنظيرات العولمة التي يعرفون أنّها سَتُمكِّنهم من كسر القيد بالقيد، أمَّا في الزَّمن الذي ستزدهر فيه العولمة ستكون المعضلة كيف يمكن للحاكم أن

يضبط الشّعب من الانفلات بعد أن فُكت قيوده التي من الصّعب أن يقبل بالعودة إليها؛ ولذا قد تتدخل قوَّة خارجية من جديد تحت مبررات من أجل ضبط النظام واستقرار الأمن، وهذا ما سيكون متوقّعا إذا انتصر اليمين في أوروبا تمشيًا مع انتصار الرّئيس الأمريكي دونالد ترامب، مع أنّ رأينا يتوقّع غير ذلك، أتوقّع أن يغيّر الرئيس ترامب آراءه، وأنَّ اليمين لن يتبوأ السلطان، وأنّ الأمر في أوطان العالم الثَّالث يحتاج إلى مزيدٍ من الوقت، مع إتاحة الفرصة للتقليل مما يؤلم، ولكن التقليل فقط.

إذن: إذا أريد للعولمة النجاح فينبغي لها أن تكون مؤسّسة على كفتي اعتدال الميزان، الحرّية الشَّخصيَّة وفقًا للقيم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة في مقابل حرّية السّوق؛ وإذا لم يؤخذ ذلك في الاعتبار، فإنّ نظام السّوق سيكون قيدا بالضّرورة؛ ولذا فإن لم يحسم هذا الأمر سيكون الصّدام بين من يحاول أملًاء شروطه والرّافضين لها.

وبما أنَّ الأمر لم يُحسم بعد فإنّ الحوار على العولمة هو اللغة السَّائدة اليوم، وهذا الحوار سيترتّب عليه صدام وصراع إن لم يتمّ الإجماع على القبول أو الرّفض أو الانتظار، ومن هذه الصراعات المحتملة.

. الصّراع بين المواطنين كأفراد عندما يحسّ كلّ منهم أنّ الآخر هو قيد على حرّية ممارسته للديمقراطية.

. الصّراع بين المواطن الفرد والحاكم عندما يشعر المواطن بأنَّ الحاكم يُشكل قيدًا عليه وعلى ممارسته الحرّية، أو عندما يشعر الحاكم أنّ المواطن غير مكتف بما أعطى له من هامش للامتداد.

. الصّراع بين المواطن الفرد وأداة الحكم، عندما يحس الموطن أنّ الأداة الحاكمة تحتكر السّلطة ولا تسمح له بأن يمارس حقّه مشاركة.

. صراع المواطن كفرد مع الدّستور والقوانين والنّظم عندما تصاغ بغير إرادة.

بناء على هذه النقاط المسببة للصّدام آجلا أم عاجلًا جاءت تنظيرات العولمة لكسر قيودها، بهدف تحرير المواطن بناء على ضمانات حقوق الإنسان، فمن حقّ الإنسان أن يكون حرًّا، ويمارس الدّيمقراطيَّة بإرادة؛ ولذا يجب فكّ القيد عنه بإرادة، وإن لم يُفك بها يجب أن يُكسر بالقوَّة. وكلمة يجب أن يُكسر بالقوَّة تعني فيما تعني: وضع القيد في عنق من لا يودّ فكه بإرادة، ومن هنا تتولّد الصراعات التي منها:

. صراع الضّمير العام مع الأنا:

عندما تفلُت الأنا من ضوابط الذّات التي تشكّل قيدا عليها، يتدخل الضّمير العام كحكم بينهما بالنواهي والضوابط التي استمدّها من الفضائل الخيرة والقيم الحميدة، وهذه الضوابط بالنّسبة إلى الأنا تُعد هي الأخرى قيودا إن لم تفكّ فلا بدَّ أن يتمّ التحايل عليها وعدم الالتزام بها.

. صراع الضّمير العام مع الذّات الجماعية:

الذّات الضابطة للأنا في كثير من الأوقات هي في حالة صدام معها؛ ولأنّها ذات جماعية بشرية فهي الأخرى تحيد في بعض الأحيان عن ضوابط الضّمير العام، الذي تعده الذّات سندا لها عندما تكون في حالة صدام مع الأنا، وفي ذات الوقت تعده قيدا عليها عندما تحاول الانفلات والانحراف، وذلك بمتابعته لها في كلّ أمرٍ، فكلّما قرّرت الانفلات منه يحدث الصّدام معها.

وإذا تساءل البعض: متى يحدث الصّدام بين الضّمير العام للمجتمع وبين الضّمير العالمي (ضمير حقوق الإنسان والحيوان)؟

تجيب العولمة عن ذلك بالنقاط التالية:

أ . عندما لا يستوعب الأنا الآخر.

ب . عندما لا تمارس الدّيمقراطية بإرادة.

ج . عندما لا تفتح البلدان كميادين ليمارس السّوق نشاطه فيها بحرّية.

د . عندما لا تكون الأديان والأعراف قيودا على من لا يُشرِّعون بها.

هـ . عندما لا يتمّ الحفاظ على البيئة.

ع ـ عندما يحاول البعض صمّ آذانه عمّا تقوله المنظّمات الدّولية.

و ـ عندما يحاول البعض الامتناع عن ارتداء قميص القيد الذّهبي الذي فصّلته العولمة.

وعليه: سيكون التدخل مباحا ومتاحا متى ما يتراء للذّات العالمية أن تتدخل في الشؤون الدّاخلية للبلدان والدّول؛ ولهذا كسر القيد بالقيد لا فرق فيه بين أن يكون حديديا أو ذهبيا، إلا أنّ القيد الحديدي القديم الذي في كثير من الأحيان يتعرّض إلى الصّدأ سيتمّ استبداله بالقيد الذّهبي الجديد الذي لا يصدأ[29].

تحدّى الصِّعاب تتجاوز الدُّونيَّة:

الدُّونيَّة منزلة سُفليَّة لا تليق بأهل العلم ولا أهل المكانة والرّفعة، بل ولا تليق بمن خُلق في أحسن تقويم، ومن أراد أن تكون حياته على الخُلق الرّفيعة وعيًا وتدبّرًا فعليَّه بكلّ ما يُمكّن من إحداث النُّقلة ارتقاءً إلى ما هو مأمول، وفي مقابل ذلك إن لم يحسن الإنسان إدارة شؤونه فليس له إلّا الانحدار، فآدم عليه السلام الذي خُلق في العليّة عندما أخفق في إدارة نفسه انحدر إلى سُفلية غير متوقعة، وهناك في دائرة غير المتوقّع واجهته المفاجأة؛ بعد ما انحدر معصية مع انحدار شهوته ورغبته؛ التي جعلته على الهبوط إلى الحياة الدّنيا بعد أن كان في السّماء قمّة.

[29] المصدر السابق، ص 85.

ولمتسائل أن يتساءل:

هل خُلق آدم على الارتقاء خلقًا، أم أنّه جُعل عليه جعلًا؟

أقول:

لو جُعل آدم على الارتقاء جعلا، لكان الارتقاء مستقلًّا عنه وسابقًا عليه؛ ولأنَّه لا سابق على آدم ارتقاءً فهو المخلوق عليه خلقًا قال تعالى: {لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ}[30]، ولأنّه خُلق على الارتقاء خلقًا، قال (في أحسن تقويم)، وفي المقابل لو كان آدم قد جُعل على الارتقاء جعلا لقال تعالى: (على أحسن تقويم) وهو المأمول غير المتحقّق في ذات آدم خلقا، وهذا ما يخالف دلالة الحُسن التي خُلق منها آدم خلقًا.

ومع أنَّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه انحدر إرادة ومعصية، فكان في سُفلية ودونيَّة أمام خالقه: {ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ}[31]، ومع ذلك استغفر آدم ربَّه تحدٍّ لما أوقعه في ارتكاب الخطيئة فتاب الله عليه، ومن هنا، فتح الله باب التوبة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصّالحات: {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ}[32].

---

[30] التين 4.

[31] التين 5.

[32] التين 6.

ومع أنَّ آدم قد خُلق في أحسن تقويم، فإنَّه قد خسر ذلك الارتقاء بمعصية منه، ممّا جعله استغفارا يأمل الارتقاء عمّا انحدر فيه من سُفلية؛ فغفر الله له وتاب عليه بغاية الارتقاء إلى تلك المقامات العظام، ولكن الأمر لا يعد هينا؛ حيث لا عودة إلّا بالعمل الصّالح الممكّن من الارتقاء إلى تلك القمّة التي أصبحت أملَ آدم بعد أن كانت بين يديه.

ولأنَّ العمل ارتقاءً يؤدّي إلى ما يُنقذ بني آدم من الألم، كما يؤدّي بهم إلى ما يُغرقهم فيه فهم بين هذا وذاك بين ارتقاءً فيه العمل يُتقن، ودونيَّة بها يُهمل وينحرف إلى ما لا يجب؛ ولذلك كان الصّدق ارتقاءً في مواجهة الكذب انحدارا، وكان العدل ارتقاءً في مواجهة الظّلم انحدارا، وهكذا كان الحقّ في مواجهة الباطل، والحرّيّة في مواجهة الاستعباد، والدِّيمقراطيَّة في مواجهة الدّكتاتوريَّة، والاستيعاب في مواجهة الهيمنة والإقصاء، وبين هذا وذاك يجب تحدّي الصِّعاب بما يُمكّن من الارتقاء قمّة.

ولأنّ بني آدم بين ارتقاءً ودونيَّة فهم بينهما بين ما يرسّخ قيمة الإنسان رفعة ونهضة ومكانة، وما يؤدّي إلى التخلّف والفاقة وتقليل الشأن.

ولذلك فالعمل الصّالح ارتقاءً لا يكون إلّا عملًا منتجًا ومتقنًا ومبدعًا ومرسّخًا لقيمة الإنسان، وفي المقابل العمل الفاسد والرّغبة الفاسدة لا يكونان إلّا على حساب القيم الحميدة، وعلى حساب مصالح

الآخرين ورغباتهم ومصائرهم وما يشبع حاجاتهم المتطوّرة والمتنوّعة؛ ومن ثمّ فالعفّة والأمانة والنّزاهة وتحمّل أعباء المسؤوليَّة ارتقاءً ستظل قيما في مواجهة تلك القيم المؤدّية بأصحابها إلى السُّفليَّة والدّونيَّة التي تتمركز على الأنا.

ولهذا فالارتقاء لا يمكن أن يبلغه بنو آدم إلّا عدلًا وعملًا وعفوًا وصفحًا، وكذلك الانحدار لا يمكن أن يبلغوه إلّا ظلمًا وإهمالًا وتشدّدًا وتطرّفًا، ففي دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع، فمن شاء الارتقاء عمل من أجله ارتقاءً وتحدّى الصِّعاب، ومن شاء الانحدار عمل من أجله سُفليّة ودونيَّة.

وعليه:

فآدم بعد أن خسر تلك المكانة القمّة، عمل على الارتقاء إليها ثانية، ولكن ظل الارتقاء إلى تلك القمّة من قِبل بني آدم أملًا وعملًا، فمن يعمل صالحا يقترب منها، ومن يعمل باطلا يبتعد عنها؛ فالإنسان الذي خُلق على الارتقاء بداية، ثمّ انحدر عنه رغبة وشهوة، أصبح ثانية يسعى إلى العودة إلى القمّة، وهو يأمل أن تُرتق الأرض بالسّماء حتى يرى بأمّ عينه ما يأمله ارتقاءً.

فبنو آدم خُلقوا على الاختلاف وسيظلون به مختلفين، حتى أهل الوطن الواحد والدّين الواحد واللغة والثقافة الواحدة هم مختلفون قدرات ومواهب واستعدادات وميول واتجاهات، ولهذا؛ فهم مختلفون بصمة، ولا

تناسخ بينهم فيما خلقوا عليه خلقا، ولكن بينهم تماثل فيما هم عليه من معرفة وعلم وحضارة واقتصاد وسياسة، وفنون وآداب، ومع ذلك؛ فالاختلاف بينهم لا يلغيه التماثل والتشابه، بل التماثل والتشابه بين بني آدم يؤكّد وجود الاختلاف بلا لبس ولا غموض.

ولأنّه الاختلاف؛ فهو المحفّز على البقاء تنوّعا، وهو المحفّز على التغيير الممكّن من التّعاون والنّهوض ارتقاءً؛ فبنو آدم ارتقاءً يعلمون أنّهم لم يجدوا أنفسهم خلقا، بل خَلقَهم من هو أعظم منهم، فهم يعلمون أنّهم قبل الخَلق لم يكونوا شيئا يُذكر، ثمّ أصبحوا شيئا مذكورًا؛ فهم يعلمون أنّ مشيئة من ورائهم هي التي أرادت لهم خَلقا، ولهذا؛ فهم يدركون أنّهم قبل الخَلق لم يبلغوا مستوى الوجود الصّفري قيمة، ولكن مشيئة الخالق شاءت لهم أن يكونوا شئيا فكانوا شيئا وفي أحسن تقويم: {أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا}[33].

فبنو آدم لكونهم شيئًا مذكورًا يدركون مشيئة شاءت لهم أن يكونوا خَلقا وفقًا لمشيئة هم لا يعلمونها؛ ذلك لأنَّ المشيء وحده يعلم مشيئة خَلقه، أمّا المخلوق ارتقاءً؛ فلا يدرك إلّا وجوده مخلوقًا. ومع ذلك فهناك من يرى الوجود الكوني مخلوقًا من غير خالق، وهنا تكمن العلّة المعرفية بين من يدرك أنّه لا مشيئة لمخلوق في خَلقه، ومن لا يدرك ذلك بقوله: إنَّ الكون خلق نفسه ولا خالق من ورائه.

[33] مريم 67.

ولأنّ بني آدم بين الارتقاء والدونيَّة؛ فهم مختلفون رؤية ومعرفة وعلمًا، ولهذا؛ فهم بين معرفة وعلم يؤدّيان بهم إلى النّهوض قمّة، وجهل يؤدّي بهم إلى الانحدار والدونيَّة.

ولذلك فالإنسان عندما ينهض يرتقي إلى ما يؤدّي به إلى رتق الأرض بالسّماء، وعندما ينحدر يهوي سُفلية في القاع، أي: عندما يرتقي يجد نفسه وكأنّه يحتوي الإنسانيَّة في نفسه، ولكن عندما ينحدر يصبح عقله أشبه بعقل الحيوان: {فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ}[34].

أي: عندما ينحدر الإنسان ممّا هو عليه من عقل مدبّر، لا شكّ أنّه يقترب إلى عقل القرد الذي هو في دونيَّة إذا ما قورن بعقل من خلقه الله في أحسن تقويم؛ فمثل أولئك المنحدرون قيما هم مثل الحيوان الذي لا يتذكّر فيتّعظ، ولا يتدبّر فيخطط، ولا يفكّر فيرتقي إلى ما يجب أن يكون عليه رفعة، ولهذا؛ فلا يليق بالعقل الإنساني أن يتشبّه سلوكه بالعقل القردي، الذي متى ما انحدر إليه الإنسان أصبح لا فرق بينه ومن هو في دونيَّة: {وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ}[35].

فالإنسان إن لم يُحسن الاختيار ولا أمل له، يجد نفسه في اتجاه السُّفليَّة والانحدار والدونيَّة، وإذا امتلك الإنسان الإرادة والأمل يصاحبه

---

[34] الأعراف 166.

[35] المائدة 60.

تحدٍّ للصِّعاب، تُفتح أمامه السُّبل في دائرة الممكن المتوقّع وغير المتوقّع؛ ولهذا إن كانت الإرادة في حالة ضيق أو منعدمة؛ فلا يجد الأمل مجالا للامتداد فكرا ومعرفة، فالفِكْر الإنساني نتاج ما وصل إليه العقل البشري من معارف وعلوم ورؤى أسّس لثقافات وحضارات سادت، ثمّ بادت، ثمّ نهضت حضارات غيرها، وهكذا ستظل الحضارات بين نهوض وارتقاءً، وإبادة وسُفليَّة، وفقًا لقاعدة الصّراع بين ما يجب وما لا يجب، وستظلّ الحياة البشريَّة في دورة من التفاعل بين (ارتقاءً ودونيَّة) حضارات تسود، ثمّ تبيد، ثمّ تنهض حضارات أخرى.

ولذلك عاش الإنسان الأوّل حياة الخلق في أحسن تقويم، ثمّ انحدر سُفليّة؛ فاتّسعت الهوة بينه وتلك المكانة ارتقاءً؛ فكانت الدونيَّة بين يديه سلوكا على غير فضائل ولا قيم حميدة، وكانت الأساطير ترافقه وكأنّها الحلّ في الوقت الذي فيه الخرافة لا علاقة لها بما يحقّق الآمال المحدثة للنُّقْلَة وصانعة المستقبل المزدهر.

ومع أنَّ القاعدة المنطقيَّة ترى: أنَّ الارتقاء أساس الخَلق البشري، ولكن الاستثناء يرى كفّة الانحدار تكاد أن تتعادل مع كفّة الارتقاء، وهنا تكمن العلّة، حيث قلّة الجهد المبذول من قِبل من يأمل ارتقاءً، في مقابل الجهد المبذول من قِبل من تشدّه السُّفليَّة. وهذا الأمر يشير إلى أنَّ زمن الصّراع سيطول بين من يأمل رتق الأرض بالسّموات، ومن لا يرها إلّا مُفتقة طباقًا.

والذي يُعيق العمل عن النّهوض، وإحداث النُّقلة، وبلوغ الارتقاء قمّة هو العمل الذي ينحدر بأصحابه في دونيَّة الأخلاق وسُفليَّة التخلّف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والإنساني، قال تعالى: {وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى}[36].

فالإنسان الذي خُلق في أحسن تقويم، هو الإنسان المقوّم للارتقاءً، وليس للدونيَّة، ولكن لأنّ الارتقاء والدونيَّة يتأثران بالمعرفة والتّخيير تذكّرًا وتدبّرًا وتفكّرًا؛ فهما بيد الإنسان رغبة، واختيارًا؛ ولذلك ينبغي لبني آدم أن يعملوا كلّ ما من شأنه أن يؤدّي بهم إلى إحداث النُّقلة الممكّنة من معرفة المستحيل وبلوغه ارتقاءً.

ولهذا فمن تُلهه نفسه شهوة فلن يجد نفسه إلّا على حالة من الانحدار والدونيَّة التي لا تزيده إلّا تقليل شأن.

فالإنسان الذي خُلق على قمّة النشوء ارتقاءً، لو لم ينحدر بداية، لكان إلى يومه هذا على قمّة الزَّمن الحاضر في حُسن خَلقه وخُلقه؛ ولكنّ الغفلة قد أخذته فعصى ربّه؛ فانحدر إلى ما لا ينبغي له، ثمّ حاول النّهوض، ولكنّه ما لازال يحاول وهو بين أمل ويأس. أمل الارتقاء إلى ذلك الماضي تحدٍّ، ويأس بلوغه بعلل الشّهوة التي لا ترى الأنا إلّا مركزا على حساب الغير.

---

[36] الكهف 88.

ومن ثمّ ينبغي لبني آدم عند رسم السّياسات أن يجعلوا وراء كلّ هدف غرضا، من ورائه أغراض تحقّق لهم المكانة والكرامة، أي: تحقّق لهم المكانة الشَّخصيَّة قدوة، وتحقّق لهم الكرامة الآدميَّة رفعة، وتحقّق لهم العيش السّعيد قيمة. ولكن إن لم يتحدّوا الصِّعاب ويعملوا ويفعلوا فلا شيء لهم إلّا البقاء على رصيف الحاجة متسوّلين، وهنا يكمن الانحدار علّة[37].

الإصلاح صُنع المستقبل:

الإصلاح جهد يبذل بهدف الاستفادة ممّن يمكن الاستفادة منهم، وكذلك ممّا يمكن الاستفادة منه، أي إنّه يتعلّق بالنّاس وما يمتلكون، فالنَّاس كلّ النّاس ليس سواسية، فمنهم من له من القدرات والإمكانات ما له، ومنهم على غير ذلك، بل هناك من هم على العوز والحاجة. ولهذا وجب الإصلاح حتى يتمّ تسخير كلّ ما يمكن في سبيل صُنع المستقبل المأمول.

ولأنَّ الإصلاح يهيئ إلى صُنع المستقبل المأمول؛ فهو ضرورة، ولتوضيح ذلك أقول: إصلاح الشأن العام يستوجب تسوية فهو مثل الأرض المستهدف زرعها وهي غير موسوِّية؛ ممّا يستوجب تسويتها وتهيئتها إلى الزّراعة المثمرة.

فالإصلاح كونه قيمة حميدة فهو كما يحدّ من الإفساد يحدّ من التطرّف، ولكنَّه لا يقضي على أيٍّ منهما؛ فالّذي يقضي على الإفساد

[37] المصدر السابق، ص 76.

والتطرّف هو الحلّ، ولأنَّ الإصلاح يعطي الفرصة لكلٍّ من الأنا والآخر لأنْ يعيد حِساباته ويهذِّبَ تصرّفاته ويحدّ من انحرافاته السلبيّة، فهو الممكّن من تبدّل وتغيّر الأحوال والعلاقات بين النَّاس من جهة وبين الذين ينصبون لهم العداءات.

ولأنَّه الإصلاح؛ فهو بدون شكّ نقيض الإفساد، أي إنَّه العلاج المناسب لمقاومة الإفساد، ولأنَّ العلاقة بينهما علاقة مقاومة، فهي علاقة نقيضين، ولأنَّهما النقيضان؛ فمغالبة أحدهما للآخر ليست بالأمر الهيّن، فهما المتساويان من حيث القوّة كلّما يتواجهان، ولكن يظل للامتداد بينهما هامش يستوعبهما دون رفض.

ولمتسائلٍ أن يتساءل بعد استغرابه لوجود تضاد علائقي لا تتحقّق المغالبة فيه بين الإصلاح والإفساد، بقوله: أهكذا تظل الأحوال على ما هي عليه صداما مستمرا بين إصلاح وإفساد؟

أقول:

نعم، ستظل الأحوال هكذا إلى أن يتمّ بلوغ الحلّ الذي به يتمُّ تجاوز الإصلاح الذي يقتصر على إصلاح ما يَفسَد دون أن يقضي على الفساد؛ فالذي يقضي على الفساد هو الحلّ.

فالمجتمع مكوّن علائقي تأسّس على الفرد والجماعة حتى أصبح مكونا اجتماعيا في ذاته، وله من الرّوابط ما له، وله من العلاقات ما له،

وله من الأعراف والعادات والتقاليد ما له، وله من الخلافات مع الغير ما له، ولهذا كان الاضطرار ضاغطا على الأفراد والجماعات بأن يشكلوا لحمة اجتماعية يكون الشيخ رأس قمتها. وبعد أن تعقّدت العلاقات وتطوّرت الحاجات وكثرت المجتمعات تأسّست الدّولة ونشأت؛ فكان لها رئيسًا وفقًا للشرائع والدّساتير والقوانين المختلفة، وبين هذا وذاك استمر ذلك الخلاف الذي بداء أوّل ما بدأ بين ابني آدم، ثمّ تطوّر فأصبح صراعا بين القبائل على المرعى والمشرب، ثمّ أصبح بين الدّول استعمار من بعده استعمار، وهكذا الصّراع يتلوّن حتى أصبح صراعا بين الحاكم والمحكوم، وبين حزب وآخر.

وعلى الرّغم من ذلك تشابكت مصالح الشّعوب بتشابك علاقاتها من جهة، ومن جهة أخرى انفصلت العلاقات وتقطّعت بتطرُّف بعض الأفكار المنظّرة لها؛ فبعدت المسافات بين من تشابكت علاقاتهم وترابطت، وبين من تأزُّمت أحوالهم وتطرَّفت أفكارهم في معالجة القضايا المشتركة؛ فتكوَّنت الأوطان بحدود ملكية المشرب والمرعى والمسكن والثّروة، وأصبح لكلّ وطنٍ مركز (رئيس دولة) وراية ونشيد وطنيّين وأصبح له جُند لحراسة حدوده، ورجال أمن لرعاية العلاقات بين المواطنين كلّ وفق حدوده التي ينظمها القانون، ولكلٍّ شِرعة ومنهاج. ومع ذلك لم يكن الكلّ منتظم على السُلَّم القيمي المستمدّ من الأديان والأعراف والدّساتير المقرَّة اعترافا وتقديرا واعتبارا؛ فكان الصِّدام وكان التطرُّفَ بين مركزٍ عام

ومركزٍ اجتماعي أو مركزٍ تنظيمي (حزب) أو طبقة من طبقات المجتمع، وكان الصِّدام والتطرُّف بين مركزٍ فرعي ومركز آخر من الفروع المتعدّدة داخل الوطن، وكان الصِّراع والصّدام بين من يؤمنون بدينٍ، وبين الذين يؤمنون بدينٍ غيره، وكان الصِّدام والتطرّف بين مراكز الشّرطة والمراكز الأخرى في الوطن، وكان الصِّراع والصّدام بين الفرد والجماعة وأَحَد المراكز أو المركز العام، ممّا جعل الصِّدام يتنوّع وتتعدّد مصادره الفكريَّة التي جعلت الدّماء تسيل وتُهدر في كثيرٍ من الأحيان بغير حقٍّ.

أمَّا تلك الأوطان التي تأسّست علاقات مواطنيها على الشفافية الكاشفة للحقيقة (هي كما هي) جعلت الوضوح في العلاقات بين المواطنين وبين المركز الرّئيس، والمراكز الفرعيَّة الأخرى علاقات إظهار الحقيقة وكشفها للتقييم والتقويم دون تجنِّي بغير حقّ؛ فهي التي تأسّست العلاقات فيها دستوريا، ممّا جعل المواطن يعرف عن بيِّنة ما له ليأخذه دون تردّد، وما ليس له ليمتنع عنه ويحترم أصحابه، وما يجب عليه تأديته تجاه نفسه والآخرين وتجاه الوطن الذي فيه تُمارس الحقوق وتؤدّى الواجبات وتُحمْل المسؤوليَّات.

ومن مجموع هذه المعطيات نشأت عاطفة الانتماء للوطن والولاء له بين قوّة وضعف؛ فهي تقوى بقوّة السّيادة الوطنية التي تجعل كلّ مواطن هو المركز المستمرّ، في مقابل المركز الرّئيس غير المستمرّ (المواطن هو المواطن لا يُستبدل، والرّئيس مواطن قابل لأن يُستبدل).

ومع ذلك فإنَّ العاطفة في كثيرٍ من الأحيان ترتبط بالمصلحة قربا وبُعدا؛ فإنْ قويت على حِساب المنظومة العامَّة المؤسّسة للعلاقات بين المواطنين يجد أصحابها أنّهم في مواجهة القانون المستمدّ من الدّستور أو المستمدّ من الدّين أو العرف أو من صياغة موضوعيَّة مستمدّة من تراث الأمّة أو من التراث الوطني الذي هو ملك للجميع بتنوّع أديانهم وأعرافهم وأعراقهم وعلومهم وثقافاتهم.

إنَّ العاطفة الوطنية للشّعب هي بين امتدادٍ وانكماش تنشأ من معطيات وطنية تملأ المواطن ثقة ودفا، أو تملؤه غربة واستغرابا؛ فمن حيث تحقيق الثِّقة والدّفء والأمن يشعر الفرد بأنّه وطن بكامله يتألّم بآلامه ويسعد بسعادته ويأمل في آماله، أمَّا من حيث ما يملؤه غُربة واستغرابا؛ فهو عندما يُهمَّش وتُسلب إرادته لصالح آخرين أفراد أم جماعات أم مركز من مراكز القوّة الاجتماعيَّة المتعدِّدة في الوطن أو لصالح المركز الرئيس (قمّة السّلطان).

ولأنَّ العلاقات الاجتماعيَّة بين الأفراد والجماعات مؤسّسة على مجموع الفضائل الخيِّرة والقيم الحميدة منشأ العواطف الاجتماعيَّة والإنسانيَّة؛ فالإنسان دائما عندما تملؤه تلك الفضائل والقيم تدفعه العاطفة الإنسانيَّة تجاه الآخرين الذين هم في حاجة؛ فيكون عونا لهم على ما يُمكِّنهم من إشباع حاجاتهم المتنوّعة والمتطوِّرة، ممّا يجعل عاطفة جديدة تنشأ لدى الآخرين مِن الذين هم خارج الحدود، وفي مقابل ذلك قد تنشأ

أحقاد ومحاسد تجاه من هم خارج الحدود على ما لهم من فضائل خيِّرة وقيم حميدة، ممّا يجعل الفكر العدائي المتطرّف في حالة امتداد تجاه الآخرين الذين لهم من الثروات والفضائل والقيم الحميدة ما يُمكِّنهم من العيش الكريم، وقد يصل الأمر بهم إلى الاعتداءات الظّالمة التي تدفع أصحاب ذلك الوطن الكريم إلى النّهوض والوقوف صفّا واحدا للمواجهة حفاظا على تراب الوطن ومكارم الأخلاق فيه.

إذن إصلاح الإفساد وأحوال المتطرّفين لا تخرج عن دائرة الممكن المتوقّع وغير والمتوقّع، ولكن كيف؟

نقول: قبول الآخر ضرورة من قِبل الذي كان سببا في تطرُّفه في الزّمن الذي لا تكون المسافات فيه قد بَعُدت بين الأنا والآخر، ولكن مع ذلك فإنَّ القاعدة المنطقية والعلميَّة جعلت (لكلِّ بداية نهاية) ولأنّ للتطرُّف بداية، إذا لابدَّ أن تكون له نهاية إذا قرَّر الأنا والآخر أن يراجعا ما هما عليه، وما يجب أن يكون عليه كلّ منهما تجاه الآخر، الذي لا ينبغي أن يُنبذ أو يُقصى أو يُغيَّب أو يُحرم، وكذلك لا ينبغي الرَّفض الذي به لا يُقبل المركز مركزا بما أنّه إرادة أصبح مركز الوطن المؤقّت، مقابل استمراره مواطنا مركزا بكامل حقوقه وواجباته ومسؤوليَّاته.

إنَّ العلاقات الاجتماعيَّة ذات البعد الإنسان تؤسّس على احترام الآخر وتفهُّم أحواله وظروفه وتقدير أعرافه وأديانه التي تُنظِّم علاقات أفراده وجماعاته، دون أن تُكِنَّ كُرها للآخرين، ودون مواقف وأحكام

مسبقة بلا مبرّرات موضوعيَّة، وإن سادت الأحكام المسبقة كرها وبغضا دون تبيُّن قد تَتَأسّس عداءات وتُرتكب مظالم تجاه الآخرين، ممّا يجعل التطرُّف قيمة متبادلة تشبُّ نيرانها بين الأنا والآخر دون وسيطٍ قادرٍ على إطفائها إلى أنْ تحرق كلّ شيء ولا تطفئ إلّا بأسباب انعدام الوقود.

وعليه:

لا شيء يؤدّي للإفساد إلّا الخروج عمّا جاءت به الفضائل الخيّرة والقيم الحميدة، والانحراف عمّا يرسّخ قيمة الإنسان في ممارسة الحقوق وأداء الواجبات وحمل المسؤوليَّات، والإصلاح هنا يستوجب دراسة حالات الأفراد أو الجماعات وتقييمها ثمّ تقويمها بما يمكّن من إصلاح أحوالها لتكون قوّة عاملة ومنتجة في المجتمع الذي تنمي إليه.

إنَّ العلاقة بين الأنا والآخر إن اكتسبت الضديّة تكون أرضا خِصبة للتطرُّف، ممّا يجعل البحث عن الحلّ يدور في فلكٍ نهايته غير معروفة، هذه الظروف إن تمَّ تفهُّمها يتمُّ إدراك حالة جديدة تنظر إلى كلّ ما يجري وفق منظور جديد يكون على أساسه الحلّ؛ فالبحث عن حلّ لا بدَّ أن يكون وفق صيغ توافقية تجمع المتفرّق، وتلغي الحواجز، وتفتح آفاق الحوار الذي به يتمُّ تجاوز المطالبة بالإصلاح إلى الحلّ المكبح لانتشار التطرُّف الذي بالوقوف على منابعه وتجفيفها بالحكمة يُقبر دون أن يجد من يتأسف عليه.

ومع أنَّ الأساليب السياسة في التّعامل مع القضايا المختلفة تُرسِّخ سياسة (الترويض) والتهدئة، إلّا أنَّ ما يجري بأساليب تنفيذ قرارات الحكم على الآخرين في كثيرٍ من الأحيان لا يُعدّ كذلك، ممّا يجعل مبرّرات ظهور التطرّف مؤسّسة على الضرورة؛ فالسّياسة لو كانت ودّ بودٍّ لكانت العلاقات المترتّبة عليها توافقا وتكيفا وانسجاما، ولأنّها لدى البعض تطرُّفا فلا تكون العلاقة المترتِّبة عليها إلّا تطرُّفا.

والمتطرِّفون مع أنّهم يقعون تحت طائلة القانون إلّا أنَّ المتطرِّفين بالقانون لا قانون يلاحقهم سوى التطرُّف، وعندما يتبيَّن للمواطنين أنَّ مصدر الفساد والإفساد والتغييب والإقصاء هو رأس هرم السّلطان؛ فلن يحدِّدوا هدفا سواه إلّا مَن تبنَّى تطرُّفاتهِ وعَمل بها، ولكن عندما يتبيَّن المتطرِّفون أنَّ المفسِدَ ليس المركز فلن يتّجهوا إليه تطرُّفا، بل يتّجهون تطرُّفا إلى تلك الأدوات المتطرِّفة في تنفيذ ما ليس هو بحقٍّ.

فإذا أخذنا أنموذجًا واحدًا من النماذج المنفذِّة لأوامر رأس الهرم (أنا فقط) هي كما هي مسلّمات، وكان هذا الأنموذج هو الجيوش المقاتلة في جبهات القتال، التي تملؤها الحيرة بين أن تنفِّذَ أمر الموت الذي يصدر لها من رؤوس الأهرامات (القمم السّلطانية) وبين ما يملؤها حسرة بأسباب ما تدفعه من ثمن داخل الحدود بأسباب الحرمان من ممارسة أقل الحقوق وأقل الواجبات وأقل المسؤوليّات، وما تعانيه من حاجة في مقابل انعدام

أو نقص مشبعاتها، وبين أن تقبل تنفيذ أمر الموت من أجل أن تسهم في تحقيق رغبة رأس الهرم، أنّها الحيرة التي تؤدّي إلى تحقيق نتيجة أحد أمرين:

أمَّا قبول الأمر والموت أو تحقيق النّصر.

وإما قبول الأمر ورفض الانتصار الذي يرغبه رأس الهرم وإن كانت الضحايا على الكثرة.

في مثل هذه الحالات تقبل الجيوش بالخيار الثّاني بإرادة وهي على قناعة بأنَّ القهر الذي كان يواجهها داخل الحدود ليس له بدّ إلّا أن يُقهر خارجها وفي أوّل فرصة تتاح، ممّا يجعل المقاتل يرضى بالاستسلام للعدو وهو يعلم أنّه على أمل للعودة بعد تفاوض يطول زمنه أو يقصر، أو أنّه يجد نفسه أسيرا على مستوى من العيش مهما وصل الحال به من سوء؛ فهو سيظل الأحسن من ذلك السّوء الذي كان يعانيه داخل الحدود، ولهذا من بقى من المقاتلين داخل الحدود يكون خير مستعرضٍ للقوّة عند تنفيذ أمر استعراضها بالوسائل التي جُمِّعت لحماية المركز وإرهاب المواطنين، وهو يعلم أنّه لن يكون خير مستخدم لها في ميادين المعركة إن شبّت نيران الحروب.

فالجيوش المنهزمة معنويّا ليس لها بدٌّ إلّا أنْ تقبل أنْ تكون أسيرة داخل الحدود وأسيرة خارجها كلّما أتيحت لها الفرصة المتربَّص بها من أجل التغيير، وحتّى لا يكون التعميم قاعدة مطلقة؛ فعلينا أن نقبل بالاستثناء قاعدة، استثناءً من كلّ قاعدة، فمِن المقاتلين من استشهد في

جبهات القتال، ومنهم من عاد ومرارة الهزيمة تملأ نفسه وتدفعه إلى ما هو أشدّ وأعنف، ليكون متطرّفا في وجه الأعداء سواء أكانوا في الدِاخل مواطنين رؤوس، أم أنّهم في الخارج من الأعداء، ومن يبقى منهم مفاوضا لأجل صون ما تبقّى من حدود الوطن أو لأجل عودة الأسرى بسلام آمنين سيكون خير مفاوضٍ دون أن يجد الخوف منه ملجأ يلتجئ إليه، مثل هؤلاء لم تدخل نفوسهم مقارنات بين من يحتكر المركز ويقصره عليه داخل الحدود، وبين معتدٍ يودُّ أنْ يزيل الحدود ومن عليها من وجود بغير حقّ، ويظل رأس الهرم لا حيّزا له في ذهن المفاوض، لكن حيّزه بقي موجودا عند العودة التي اتّضحت فيها أمور جليّة أمام النَّاس جميعا، ورفعت الغشاوة التي غلَّفت رأس الهرم ومنحته مكانة لم تكن له، إنَّما كانت في عقول آثرت أن تراه وفق ما يريد أن يرى نفسه.

سياسة هذا حالها تزوّر الحقائق وتمجَّد المفاسد، كيف لها أن تتّعظ؟ وكيف لها أن تستوعب الحاضر، وتصنع مستقبلا أو تُحدث نُقلة إلى ما هو أفضل؟ وكيف لها أنْ لا تولَّد تطرُّفا ليكون من بعده الحلّ؟

ومن يريد لمشكلة التطرُّف السياسي إصلاحا أو حلًّا، عليه ألا يغفل عن أهميَّة الاعتراف المتبادل بين الأنا والآخر على ممارسة حقوق غير منقوصة، وواجبات تؤدّى بإرادة، ومسؤوليَّات تُحمل دون تردّد، وإن لم يتمّ ذلك وفقا لعقدٍ اجتماعي؛ فإنّ التطرُّف سيكون هو البديل دون غيره.

وهكذا لمن يريد لمشكلة الاقتصاد إصلاح أو حلّا فعليه ألا يكون سببا في حرمان الغير ممّا يشبع حاجاتهم المتطوّرة؛ فالذي يُحرم من الماء الذي يروي ظمأه، أو يُحرم من الطّعام الذي يسدّ رمقه أو يشبع جوعه، ليس له بدٌّ إلّا أن يقاتل من أجل الحصول على ما يُشبع حاجاته، وفي مثل هذه الحالات إنْ استخدم العنف وسيلة فأنّه ليس بمتطرّف، بل المتطرّف من كان سببا في حرمانه من الحصول على مشبعات حاجاته المتطوّرة سواء أكانت ملكيّة خاصّة أم تعليميَّة أم صحيَّة أم إنتاجيَّة أم خدميَّة أم مشبعات غرائزيَّة مشروعة.

إذن: الاقتصاد الذي في تنظيراته الفكريَّة إقصاء الآخر من حقّ التملّك وحقّ المنافسة وحقّ البيع والشّراء وفقًا للجهد والمقدرة والإمكانات المشروعة هو فكر متطرّف، وكذلك إذا تأسّس المركز الاقتصادي على التأميم بغير حقّ، ومصادرة الممتلكات بغير حقّ، وحرمان المواطنين من البناء والإعمار بغير حقّ يوصف ذلك المركز بالمتطرّف، وفي مقابل ذلك إذا امتلك المواطن من الثّروة المشروعة ما يُمكّنه من استغلال الآخرين بغير حقٍّ فهو متطرّف، وإذا استغلّ ثروته في مُحرّم فهو متطرّف، ولكن إذا سعى بثروته استثمارا مطهّرا ضريبة وزكاة وصدقة فلن يجد التطرُّف في فكره ونفسه مكانا يركن إليه.

وعليه: كيف يقبل البعض بأنَّ الوطن ملكا عاما ولا يقبلون أن تكون ثروته حقّا عامّا إلّا نظريّا؛ ولهذا كيف تكون الدّولة ملكًا للجميع،

ولا يكون فيها للفقراء نصيبًا متساويًا مع نصيب الأغنياء الذين أتيحت لهم الفرص بأسباب متعدّدة منها المشروعة (من عرق الجبين) وأكثرها غير المشروع، وهو ما أخذ بغير حقّ من ثروة الشّعب كما هو حال أولئك الذين استولوا على السّلطة في الوطن؛ فاستولوا على السّلاح والثّروة فيه بالقوّة؛ فامتلكوا كلّ شيء دون أن يتركوا للفقراء شيئا، حتّى أنَّهم شرّعوا كلّ شيء وفقا لما يُفسد الأخلاق ويقوّض القيم ويحقّر المواطن؛ فكيف يا ترى تكون الدّولة للجميع والقوانين التي تنظم الشّعب لا يشارك الفقراء في سنّها؟ كيف تكون الدّولة للجميع والفقراء غير قادرين على خوض معركة الانتخابات التي لا يخوضها إلّا غنيّا؟

مع أنَّه لا إصلاح إلّا بتدبّر عقلي ومعرفي إلّا أنَّ العقل المتدبّر هو الآخر يجد نفسه في حاجة لمن يصلح أمره، ومن هنا فأنَّ الإصلاح دائمًا يلاحق إفساد، ويقوّم اعوجاجا ويصوّب انحرافا، وهكذا كما أنَّ النَّفس قابلة لأن تصلح أحولها؛ فكذلك العقل قابل للإصلاح كونه قابل للإفساد. ولكن بعض النَّاس عندما يبلغ الحال بهم إلى ما يبلغوا إليه فلم يستجيبوا للإصلاح، أي أنَّهم لا يفيقون بما هم عليه من مفاسد وذلك لكونهم قمّة المفاسد وكأنَّهم لا يعلمون؛ فمثل هذه القمّة ترى كلّ شيء تحتها ولا ترى شيئا يعلو عليها، ولهذا فهي ترى أنَّ النصائح وما يُرشد به من أخلاق هو الذي يتمّ إنزاله من أعلى إلى الأدنى؛ فلا تقبل بأن يعلو

إليها رأيا أو نصيحة، ولهذا فأمر الإصلاح لا يناسبها، بل الذي يناسب أمرها هو الحلّ الذي به تُحسم الأمور في الزّمن غير المتوقّع.

إنَّ قراءة الأحداث بمفاهيم خاطئة لا بدّ أن يؤدّي إلى نتائج خاطئة، وإنَّ قراءة التَّاريخ دون استخلاص عبر منه لا يمكن أن يُسهم في صناعة المستقبل الأفضل ولا يُحدث النُّقلة.

فالثّقافة التي لا تُحدث النُّقلة ولا تُسهم في صناعة المستقبل الأفضل لن تكون قادرة على طي الهوة بين الأنا والآخر، بل في كثيرٍ من الأحيان بينهما تُشكل عثرة، فمن خلال تلاقح الأفكار والعلوم والمعارف المتبادلة بين الأنا والآخر تنصهر العلاقات بين الأفراد والجماعات والمجتمعات الإنسانيَّة في بوتقة التعاون والتوافق والانسجام والمشاركة والاستيعاب الممكِّن من الاعتراف والتقدير المتبادلين. ولكن إن انتشرت ثقافة الإكراه ورفض الآخر وحرمانه وتغييبه ساد الفساد في ميادين المعرفة التي تجعل من المكائد والدّسائس والتآمرات والاقتتال تطرُّفا بغير حقّ.

فأصحاب الثّقافة الذين يرون أنَّ رؤاهم وأفكارهم غير قابلة للدّحض ولا للنقاش، وكلّ من يخالفهم هو مخطئ على غير حقّ يجب معاقبته، هذه الثّقافة إن سادت لا وصف لأصحابها سوى أنّهم من المغرورين أو حتَّى من المتطرّفين.

ومن مظاهر الفساد الثَّقافي أنْ يَلُمّ الأنا بثقافة الآخر ثمّ يعمل كلّ ما في وسعه من أجل تبديل بعض مفاهيمها أو تزييف بعض مصطلحاتها

أو أكثر من ذلك يعمل على إلغائها، وهذه قسريّة ثقافية؛ فبعض الأحزاب العقائدية عندما تستولي على السُّلطة تبدأ أوّل ما تبدأ بقسريّة الثّقافة، وهذا الأمر يؤدّي إلى الرّفض، ولذا فإنَّ أيِّ شيء يُفرض قسرا يُرفض إرادةً، وبالتّالي فإنَّ الثقافة القسريّة تحت أي شعار من الشّعارات هي المولِّدة للرّفض والتطرُّف؛ فعندما تخضع الأجيال إلى ثقافة المعسكرات كما كان حال المعسكرات الماركسية أيّام الاتحاد السوفييتي فإنَّ تشرُّب تعاليمها تلقينا يُسهم في تخريج دفعات ببغائيَّة، عناصرها كأوراق سحب منسوخة بعضها من بعض، حيث لا مكان للاجتهاد الممكِّن من حُسن التدبُّر وإظهار الخصوصية الواعية على المستوى الفردي والجماعي؛ فتلك التلقينات الببغائيَّة بعد أن سقط الاتحاد السوفييتي من منصّة المنافسة الحرّة لم تُوجِدْ من يتأسف عليه؛ فالثّقافة التي تترك أثرا موجبا هي الثّقافة التي تُسهم في تهيّؤ الأفراد عن تفكُّر وتذكّر وتدبُّر وبكل إرادة، ثم تُمكِّنهم من أن يستعدّوا ويتأهَّبوا إلى الإقدام على الفعل وتمكِّنهم أيضا من التفكير أثناء التفكير، والتفكير أثناء القراءة، وأثناء الحوار والمناقشة والمجادلة، وكذلك أثناء حدوث المفاجآت حتَّى لا تترك في أنفسهم علامات استغراب وتعجّب وحيرة وقلق وخوف واستفهامات مؤلمة.

وعليه: فالثقافة مكوِّن عام ونتاج عام من الرؤى والأفكار والتنظيرات والعلوم والمعارف والأعراف والأديان إلّا أنّها في دائرة الممكن تثرى

بحاضنات فكريّة تجعل (المحضون في رعاية الحاضن). وبها تُسلب معطياتها أيضًا.

وعليه:

بما أنّنا نعيش الحياة الدّنيا؛ فلا مفرّ من المفاسد، ولا مفرّ من الإصلاح؛ ولهذا وجب الآتي:

. المشاركة في تصحيح وإصلاح حال الأفراد والجماعات والهيئات والاتحادات والمؤسّسات والدساتير والقوانين والنّظم وكلّ ما يتعلّق بشؤون الدّولة ولكن من المفضل أن تكون بعد المشاركة في إجراء دراسات وافية موضوعًا ومنطقًا.

. الحث على تحسين أحوال النّاس العلميَّة والصحيَّة والنَّفسيَّة والمعيشيَّة وتمكينهم من إصلاح أحوالهم من أجل بناء الذّات المتمكِّنة من الاعتماد على ما لديها من إمكانات وقدرات واستعدادات.

. المشاركة في الأعمال التي من شأنها أن تحقق الرّقي القيمي وترفع من مستويات أفراد المجتمع إلى ما يُمكِّنهم من التطلّع للأجود.

. مراعاة طموحات الأفراد والجماعات وخطط المؤسّسات والجمعيَّات الأهلية والحكومية، بإسنادها في اتجاه ما يجب، وتحييدها عن اتجاه ما لا يجب.

. تفطين الأفراد إلى ما يجب أن يَقدِموا عليه وإلى ما يجب أن يبتعدوا عنه.

. غرس روح التطلّع إلى معرفة الجديد واختيار ما يُفيد وينفع الفرد والجماعة والمجتمع على ألا يكون على حساب القيم الفاضلة للمجتمع.

. الاطلاع على الجديد والمستحدث وكشفه لأفراد المجتمع حتى لا يتمّ رفضه لمجرد أنّه جديد وغير معتاد عليه.

. التمسّك بالمتغيرات الجديدة والمتأصلة في الفضائل وحث النَّاس على التمسّك بها وعدم التنازل عنها.

. عدم الحكم على كلّ ما يأتي من بعض الأفراد بأنّه شطحات غير ذات معنى، حيث كثير من الشّطحات في التَّاريخ ساهمة في صنع الذَّاكرة الاجتماعيَّة.

. تحديد الأهداف المستوعبة للجديد وتحفيز أفراد المجتمع على إنجازها بالسّبل المِمكِّنة في الزّمن غير المتوقع في دائرة الممكن الموجب.

. القيام بالمناشط الثَّقافية التي من شأنها أن تُسهِم في تحقيق الذّات الواعية اجتماعيا ووطنيان.

. تفطين الأفراد والجماعات لأهميَّة الزّمن وخطورته وحثهم على العمل بكل يقظة من أجل بلوغ غايات اجتماعية وإنسانيَّة.

. مراعاة طموحات الأفراد والعمل على دفعهم إلى تحقيق ما يتماش والمتغيرات المستحدثة في المجتمع.

. إعداد البرامج والخطط التي تُسهم في تهيئة الاستعدادات كما تُسهم في تهيئة المؤسّسات والهيئات والجمعيات إلى ما يُمكِّنها من صناعة المستقبل.

. توجيه المقررات الدراسة وإعداد البرامج العمليَّة التي تستوعب الأنا والآخر وتجعلهم قوّة من أجل مستقبل الوطن ومن أجل المجتمع الإنساني.

. غرس روح الطموح في الأفراد حتى يتمكَّنوا من استثمار إمكاناتهم وطاقاتهم من أجل بناء مستقبلهم.

. المشاركة في رسم السياسات والخطط التي تُمكِّن الأفراد والعاملين من أبناء المجتمع من الاعتماد على طاقاتهم لا الاعتماد على الغير.

. المساهمة في إعداد الخطط والاستراتيجيَّات وتحديد الأهداف المؤدّية إلى بناء الشَّخصيَّة الوطنية التي تعرف ما لها وتقدم على أخذه أو ممارسته، وتعرف ما عليها وتقدم على أدائه أو تنفيذه.

. تفطين أفراد المجتمع من غفلتهم عن عدم استثمار إمكاناتهم البشريَّة والمادّية، وتطوير أساليبهم ووسائلهم في عمليَّات تنميتها.

. دفع أفراد المجتمع ومؤسّساته إلى البحث عن الموارد البديلة للتنمية المستهدفة في الخطط والاستراتيجيَّات المعتمدة لأحداث النقلة الاجتماعيَّة.

. تحريض أفراد المجتمع ومؤسّساته على التعاون مع الغير الذي يمتلك المعرفة العلميَّة المتقدّمة أو التقنية المتقدّمة، حتى لا تحدث هوة بين طموحات المجتمع والواقع الذي هم عليه، مع مراعاة التقدير المتبادل حتى لا يكون استيراد التقنية على حساب قيم المجتمع التي تشكّل هويته.

. حث أفراد المجتمع على التمسّك بذاتهم الاجتماعيَّة التي تميزهم عي غيرهم من الأمم والشّعوب، مع تقديرهم لخصوصيَّات الآخرين واحترامها.

وعليه:

الإصلاح قيمة موجبة تترتب على معرفة مسبقة بالخلل أو الانحراف السّالب، تم تحديد أهداف واضحة والعمل من أجل تحقيقها أو إنجازها وفق خطة مرسومة، مع تصميم واعٍ بما يجب أن يتمّ أو يؤدّى.

وعندما يترتب على الإصلاح تحسُن أحوال الفرد أو الجماعة والمجتمع فإنّ ذلك يعني أنّ تغيرا موجبا قد حدث على واقع أفراد المجتمع وكان له الأثر المفيد على ظروفهم الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والنَّفسيَّة والذَّوقيَّة والثَّقافية. فالإصلاح يُحسَّن أحوال الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وعليه:

إنَّ للإصلاح مرتكزات قيميَّة منها:

. المرتكزات العلميَّة (الإصلاح العلمي المحقّق للتنمية الرّوحيَّة والمعرفيَّة واكتشاف المناهج والطّرق والأساليب المؤدّية إلى التطوّر والتقدم الحضاري).

. المرتكزات الصحيّة (إصحاح البيئة، ووقاية المجتمع وعلاجه من الأمراض، وتحصينه من آفات المستقبل المتوقّعة).

. المرتكزات السياسية (إصلاح القرار والتنفيذ والمتابعة في ضوء حقوق تمارس وواجبات تؤدى ومسؤوليَّات يتمّ حمْلها).

. المرتكزات الاقتصادية (الممكّنة من زيادة الإنتاجية المربحة وصيانة الملكية وممارسة البيع والشّراء بكلّ إرادة مع تفادي معطيات الخسارة).

. المرتكزات الاجتماعيَّة (المؤدّية إلى تحيق التوافق والتكّيف الاجتماعي وتكوين علائق قيميَّة مرضية).

. المرتكزات الثَّقافية (الممكّنة من تقديم الحقيقة كما هي، لتُسهم في إزاحة الجهل وتدعم البحث العلمي بالموضوعيَّة).

. المرتكزات الذَّوقيَّة (الممكّنة من تحقيق الرّفعة في الكلمة والفعل والسّلوك).

. المرتكزات النَّفسيَّة (الممكّنة من تحقيق الاعتبار وبناء الذّات المتحفّزة للتطلّع وإحداث النُّقلة المحققة للطمأنينة والرّضا النَّفسي).

ولذا فالإصلاح يُحدث النُّقلة من الآتي:

. من الجهل إلى المعرفة.

. من الغفلة إلى الصّحوة.

. من الحالة الإنسحابيَّة إلى الحالة التطلعية.

. من الأنانيَّة إلى الموضوعيَّة.

. من الاعتماد على الغير إلى الاعتماد على النَّفس.

وعليه:

. سابق الزمن حتى تسبقه.

. تطلّع للمستقبل وأعمل على صناعته.

. خطط وفقا لدائرة كلّ شيء ممكن (متوقّع وغير متوقّع).

. أعمل على إحداث النُّقلة فهي لم تكن من المستحيلات.

. الحياة حركة فلا تركن للسّكون.

الإصلاح تكاملي شمولي:

الإصلاح في العلوم الاجتماعيَّة يؤسَّس على دراسة وافية وفقًا لعمليَّات موضوعيَّة هي تجميع المعلومات وتحليلها وتشخيص الحالة والعلاج والتقويم. ولذلك تمتدّ عملية الإصلاح لتشمل المجال الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والمجال النَّفسي والذَّوقي والثَّقافي؛ ولذا فأيّ غفلة عن جانب من هذه الجوانب الرّئيسة تُعد العمليَّة الإصلاحيَّة غير متكاملة؛ ممّا يعرِّض المعالجات إلى الانتكاسة في أيّ وقت من الأوقات؛ ولذا فالإصلاح شمولي من حيث إجراء عمليَّات الدّراسة على امتداد المجالات السّابقة، ومن حيث التكاملية: ألا يغفل الأخصائي الاجتماعي في دراسته عن الذين تربطهم علاقة بالحالة أو المشكل قيد الدّراسة والبحث.

وبما أن الإصلاح شمولي تكاملي.

إذن يجب على الأخصائي الاجتماعي أن يلم بالحالة قيد البحث والدراسة وحدة واحدة، حتى يتبين أثر المتغيرات على شخصيَّة العميل وأثرها على محيطه الاجتماعي والإنساني، أمّا إذا درس الحالة وفق مجال واحد أو مجالين فإنّ دراسته بطبيعة الحال ستكون قاصرة عن بلوغ الغايات التي من ورأى إحالة الحالة إليه، ليقوم بالبحث في أغوارها ودراستها دراسة موضوعيَّة. ولهذا فدراسة الحالات الاجتماعيَّة تتطلّب من الأخصائي الاجتماعي ألا يقصُر دراسته على متغيّرٍ واحدٍ أو متغيرين أثناء تناولها

بالبحث والتقصي الموضوعي، بل عليه أن يلمّ بالعلل والمسبّبات التي تكمن أو تظهر في معطيات الحالة قيد الدّراسة تكاملًا وشمولًا.

وللتمييز بين الإصلاح التكاملي والشُّمول أقول:

الإصلاح التكاملي: هو الذي يؤسّس على دراسة الحالات من جميع مجالات امتدادها (الاجتماعيَّة والاقتصاديَّة والسياسيَّة والنَّفسيَّة والذَّوقيَّة والثَّقافيَّة). فهذا الإصلاح هو الذي يقابله الإصلاح النسبي، الذي يحدث فيه الإهمال أو الإغفال عن تناول بعض المجالات ذات العلاقة؛ ممّا يجعل الحالة المدروسة لا تحقّق الإصلاح التكاملي نتيجة إغفال الأخصائي عن تناول بعض المجالات المهمّة في دراسة الحالة.

الإصلاح الشَّمولي: هو الذي يمتدّ لمتابعة الحالة من خلال من يتعلّق الأمر بهم مباشرة، ثمّ الآخرون الذين يتعلّق الأمر بهم بشكل غير مباشر. فالعاملون في مؤسّسات المجتمع الإنتاجية عندما لا يحقّقون ربحية للمجتمع يضعون في دائرة المسائلة القانونية. ما يجعل الضّرورة تستوجب دراسة الحالة بإجراء مقابلات مع المسؤولين في المؤسّسة بالدّرجة الأولي، ومع مساعديهم بالدّرجة الثانية، ومع بقية العاملين بالدّرجة الثَّالثة. ثم مع الآخرين الذين لهم علاقة بإلحاق الضّرر بإنتاجية المؤسّسة وهم من خارجها كالمصارف المركزية، والأجهزة الرّقابيَّة التي لم تُنبه عن الحالة التي ألمت بالمؤسّسة التي كانت تعدّ من المؤسّسات الإنتاجية المتميزة، والمعدّة من المؤسّسات المعتمد عليها في صناعة المستقبل المأمول.

وعليه:

فإنّ إصلاح أحوال المجتمعات يُسهم في دفعها إلى التقدّم الحضاري والمعرفي في ميادين العلم، وينمي أحوال أفرادها وجماعاتها ويحفِّزهم على التعاون البناء، ويُمكِّنهم من التخطيط للمستقبل، ويدفعهم إلى المشاركة الفعّالة. أما الفساد الاجتماعي فلا يؤدّي إلا للتخلف وفقدان الثِّقة بين النّاس. ومن ثمّ فلا إمكانية لإصلاح أحوال الشّعوب ومسؤوليها مفسدون. ولهذا لا إصلاح يفيد، بل المفيد هو بلوغ الحلّ الذي لا يكون فيه فاسد على قمّة السّلم السّلطاني.

ولأنَّ الإصلاح لا يكون إلّا لفاسدٍ؛ فلا إمكانية لغض النّظر عن الفاسدين والمفسدين لتصبح النتيجة (إصلاح وحلّ) ولأجل الإصلاح وصُنع المستقبل عليك بالآتي:

- أهّل نفسك.
- نمّي قدراتك.
- هيئ استعداداتك.
- نوّع مهاراتك.
- عدّد خبراتك.
- أنجز أهدافك.

. أبلغ غاياتك.

. اصنع لك مستقبلا.

. استوعب من حولك.

. تحدّى الصّعاب.

. فكّر في المتوقّع وغير المتوقّع.

. أبحث عن المجهول حتى تكشف أوراقه.

. أعمل على إحداث النُّقلة فلا مستحيل في دائرة الممكن.

لذا إن أردنا صُنع مستقبلٍ؛ فعلينا بالإصلاح دون أن نقف عنده؛ فهو لم يكن الغاية، الغاية بلوغ الحلّ.

ومن هنا؛ فالعلاقة وثيقة بين توفّر المقدرة على الإصلاح وبين توفّر الإمكانات الدّاعمة والدّافعة في الاستمرار الإصلاحي (الاستمرار في التقدّم) ولهذا فالنُدرة والشُّح من العوائق الضّارة في طريق العمليَّات الإصلاحية وفي طرق التّقدم الاجتماعي والسياسي والاقتصادي والنَّفسي والذَّوقي والثَّقافي.

ومع أنَّ الإصلاح ضرورة، ولكنّه مكلف، فلا ينبغي أخذه هدفًا، فما ينفق على الإصلاح في كثير من الأحوال يكون مساويًا لما ينفق من أجل الحلّ، ولهذا كلّ الشّعوب التي تعتمد على إصلاح أحوالها؛ فأحوالها

لم تتحسّن، ولهذا فإن أرادت تحسنًا فعليها بالعلاج، أمَّا الإصلاح فهو على تماثل مع الإسعاف الذي لا يزيد عن كونه للضرورة، ولأجل الإنقاذ والتمكّن من بلوغ العلاج.

ولذا فعلى المهتمّين في الدّولة بشؤون صُنع المستقبل أن يغرسوا في الأفراد والجماعات طموحات تمكّنهم من استثمار إمكاناتهم وطاقاتهم إبداعا وإنتاجا، وأن يغرسوا الثِّقة فيهم قدرة وتحدٍّ، وأن يجتثوا اليأس والقنوط من نفوسهم.

ولأنَّه لا حدود للطّموحات، والطّموحات متنامية، فلا ينبغي على الإنسان أن يجعل طموحاته مغلقة، فكلما تحقّق للإنسان طموحًا تولد عنده أكثر من طموح جديد. ولهذا فالإنسان باستمرار هو في حالة رقي قيمي ومعرفي، وفي حالة تطوّر في اتجاه مسابقة الزّمن. ولأنّ الإصلاح الاجتماعي يُمكّن الذات من الاعتماد على قدراتها واستعداداتها ومهاراتها وخبراتها الفرديَّة والجماعيَّة والمجتمعيَّة؛ لذا فهو كفيل بتحقيق النُّقلة وصُنع المستقبل.

إذن الإصلاح يُمكّن من الاعتماد على القدرات والاستعدادات والإمكانات والمهارات المتنوّعة، ومن لم يُمكّن من ذلك سيكون عالة على الدّولة وجهود الغير، وسيجد نفسه يوما في حاجة لمن يقدّم له المساعدة.

وعليه:

. شارك الآخرين تزداد قوّة.

. نمّي قدراتك تزداد عطاء.

. استثمر إمكاناتك تكسب.

. هيئ استعداداتك تتقدّم.

. تأهّب للعمل ولا تتردّد.

. استثمر طاقاتك وشارك الآخرين الذين لسان حالهم:

. نحن القوّة المتمكّنة من إحداث النقلة.

. نحن القدرات المستوّعبة لكلّ جديد.

. نحن الاستعدادات المتهيئة لكلّ ممكن.

. نحن الإمكانات المستثمرة لكلّ متاح.

. نحن السّاعون إلى المزيد ارتقاء.

. نحن القوة الصّانعة للمستقبل.

. نحن الذين لنا غايات من وراء غاياتنا.

. نحن الذين لنا آمال من وراء كلّ أمل.

وعليه:

فالفرد طموحًا كلّما حقّق طموحا من طموحاته تولَّد لديه طموح آخر أعظم وأكبر، وهكذا هي الطّموحات تتولّد وتتنامى من جيل إلى جيل في سباق مع الزّمن من أجل صُنع المستقبل؛ ولذلك ترتقي الشّعوب كلّما ارتقت طموحاتهم وتنوّعت.

الإصلاح الاجتماعي تأهيلًا:

يعتمد الإصلاح الاجتماعي تأهيلًا على الأهداف الآتية:

. تمكين الأفراد من التأهيل القيمي والمعرفي الذي يمدّهم بالثِّقة ويحسّسهم بالمقدرة على المشاركة والتفاعل والإنتاج.

. تأهيل الأفراد بالمهارات المتنوّعة التي تُحفِّزهم على دخول ميادين العمل والمشاركة الاجتماعيَّة وفقا لقدراتهم واستعداداتهم ورغباتهم.

. تنمية قدرات الأفراد، حتى يتمكّنوا من استيعاب الجديد المفيد، ويتمكنوا من الإقدام على العمل المنتج.

. مراعاة قدرات أفراد المجتمع والفروق الفرديَّة التي بينهم حتى يتمّ توجيههم لِما يؤهّلهم ويُمكّنهم من إيجاد فرصة العمل المناسب لقدرات كلٍّ منهم.

. تهيئة استعدادات أفراد المجتمع للتأهيل الذي يُمكِّنهم من الاعتماد على ذواتهم.

. تهيئة استعدادات الأفراد أو الجماعات لقبول تحدّي الصّعاب ومواجهتها بدون خوف، حتى لا تكون المخاوف عوائق بينهم وبين المستقبل الأفضل.

. تفطين الأفراد والجماعات من غفلتهم عن الإمكانات الاجتماعيَّة المتاحة واستثمارها الاستثمار الأمثل حتى تعود عليهم بالمكاسب المشبعة لحاجاتهم المتطوّرة وحاجات من تربطهم بهم علائق أسرية أو عائلية واجتماعية أو وطنية وإنسانيَّة.

. معرفة الإمكانات المتاحة والمتوفّرة لأفراد المجتمع وتسخيرها واستثمارها فيما يفيد وفقا لخطة موضوعيَّة.

. إعداد البرامج والخطط التي تستوعب الطّاقات البشريَّة الهائلة وتوجهها لِما يتناسب وتأهيلها لأداء الوظائف وحمل المسؤوليَّات.

. تأهيل الأفراد بما يتجاوز بهم أداء المهام اجتماعية إلى أداء المهام الوطنية والإنسانيَّة.

. تقدير الفروق الفرية ومراعاتها عندما يخضع الأفراد أو الجماعات إلى التأهيل المهني أو الحرفي، أو الخدمي، فكل حسب المؤهل إن وجد وحسب الخبرة والمهارة والإمكانات الفرديَّة.

. أعداد برنامج وخطة لمن يحتاجون إلى إعادة تأهيلهم نتيجة لضعف قدراتهم أو نتيجة لتطوُّر المهنة أو الحرفة التي سبق لهم وأن تأهلوا على

ممارستها أو مزاولتها، حتى يستمروا في أداء وظائفهم الاجتماعيَّة، ولا يصبحوا عالة على غيرهم.

. تدعيم الذين ضعفت قدراتهم السّمعية أو البصريَّة أو العقليَّة بما يعوّضهم عن ذلك ويمكّنهم من المشاركة والتفاعل مع محيطهم الاجتماعي أو الوطني أو الإنساني.

. توجيه ذوي الاحتياجات الخاصَّة نحو استخدام الوسائل الحديثة والمتقدّمة علميًّا لتأدية الأدوار المطلوبة منهم بما يتناسب مع قدراتهم وإمكاناتهم واستعداداتهم.

. تمكّين الأفراد من معرفة قدراتهم واستعداداتهم يُمكّنهم من المزيد من العطاء ويدفعهم إلى استثمار إمكاناتهم وفقا للتغيُّرات المتوقّعة وغير المتوقّعة وبما يحقّق لهم النجاح.

. مراعاة الفروق الفرديَّة للأفراد والجماعات عند إخضاعهم لعمليَّات التأهيل تُحفِّزهم على التوافق والانسجام الاجتماعي.

. دفع مؤسّسات الدّولة وهيئاتها وجمعياتها الخيريَّة إلى استيعاب الطّاقات البشريَّة المؤهّلة على الأداء الاجتماعي السليم، وإعداد البرامج العلميَّة المتطوّرة في تنمية مواهبهم وقدراتهم واستعداداتهم وإمكاناتهم المختلفة والمتنوّعة.

. العمل على إعادة تأهيل الأفراد الذين قد لا يُوفّقون في تأهيلهم السّابق ودعمهم لأجل أداء مهامهم ووظائفهم الاجتماعيَّة على الوجه السّليم.

. توجيه أصحاب القدرات الضّعيفة إلى ما يتلاءم وقدراتهم من أعمال حتى لا يتمّ استغلالهم من قبل البعض في غير ما يجب قيميا أو سلوكيًّا.

وعليه: إذا توافق التأهيل مع القدرات والاستعدادات والإمكانات تمكّنت مؤسّسات الدّولة من استيعاب الطّاقات البشريَّة المحققة لإحداث النقلة وصناعة المستقبل الذي يُحقق أمل الأفراد والجماعات والمجتمعات.

وإذا لم يتوافق التأهيل مع القدرات والاستعدادات والإمكانات، يعتبر الجهد المبذول والزّمن المستغرق والإمكانات المسخّرة للتأهيل مضيعة للوقت والجهد وخسارة لإمكانات المجتمع التي تمّ هدرها في غير أوجهها.

صدر للمؤلّف

صدر للمؤلّف الدّكتور عقيل حسين عقيل: 92 بحثا نشرت داخل ليبيا، وخارجها.

صدر له (192) مؤلّفا منها: ستَّةُ موسوعات، وهي:

. الموسوعة القيميَّة لبرمجيَّة الخدمة الاجتماعيَّة (4 مجلَّدات)، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

. موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض (11 مُجلَّد)، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2009م.

. موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن (9 مجلَّدات)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن (12 مجلَّد)، المجموعة الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

. موسوعة من قيم القرآن الكريم (13 مجلَّد)، شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

. موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة (27 مجلَّد)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

أشرف، وناقش 83 رسالة ماجستير، ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثية:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة، والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميَّات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية، والتركيَّة.

المؤلّفات

1 ـ مستوى التحصيل العلمي بمرحلة التعليم المتوسط، طرابلس ليبيا، 1989م.

2 ـ الأصول الفلسفية لتنظيم المجتمع، منشورات جامعة طرابلس، ليبيا، 1992م.

3ـ فلسفة مناهج البحث العلمي، منشورات الجأ، 1995م.

4 ـ منهج تحليل المعلومات وتحليل المضمون، منشورات الجأ، مالطا، 1996م.

5 ـ سيادة البشر دراسة في تطور الفكر الاجتماعي، منشورات الجأ، مالطا، 1997م.

6 ـ المفاهيم العلميَّة دراسة في فلسفة التحليل، المؤسسة العربية للنشر وإبداع، الدار البيضاء، 1999م.

7 ـ البُستان الحُلم، دار الآفاق الجديدة، بيروت، 1999م.

8 ـ التصنيف القيمي للعولمة، منشورات الجأ، مالطا، 2001م.

9 ـ الديمقراطية في عصر العولمة (كسر القيد بالقيد)، دار الجأ، مالطا،

2001م.

10 ـ نشوة ذاكرة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، 2004م.

11 ـ خماسي تحليل القيم، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

12 ـ منطق الحوار بين الأنا والآخر، دار الكتاب المتحدة، بيروت، 2004م.

13 ـ خدمة الفرد قيم وحداثة، دار الحكمة، 2006م.

14 ـ خدمة الجماعة رؤية قيميَّة معاصرة، دار الحكمة، 2006م.

15 ـ البرمجيَّة القيميَّة لمهنة الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدوليَّة للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

16 ـ البرمجية القيميَّة في طريقة تنظيم المجتمع، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

17 ـ البرمجية القيميَّة في طريقة خدمة الجماعة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

18. الموسوعة القيميَّة لبرمجية الخدمة الاجتماعيَّة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2007م.

19 ـ البرمجية القيميَّة في خدمة الفرد، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

20 ـ مفاهيم في استراتيجيات المعرفة، الدار الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2008م.

21 ـ المقدمة في أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، بيروت ـ دمشق، 2009م.

22 ـ موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2009م.

23 ـ ألستم من آل البيت، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

24 ـ مختصر موسوعة أسماء الله الحسنى وأثرها في استخلاف الإنسان في الأرض، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

25 ـ خطوات البحث العلمي (من تحديد المشكلة إلى تفسير النتيجة)، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

26 ـ قواعد المنهج وطرق البحث العلمي، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

27 ـ أسماء حُسنى غير الأسماء الحسنى، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

28 ـ آدم من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

29 . نوح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

30 . إدريس وهود وصالح من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

31 . إبراهيم وإسحاق وإسماعيل ولوط من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

32 . شعيب من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

33 . يعقوب ويوسف من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

34 . داوود وسليمان من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

35 . يونس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

36 . أيوب واليسع وذو الكفل وإلياس من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

37 . موسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق . بيروت، 2010م.

38 ـ عيسى من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

39 ـ محمَّد من وحي القرآن، دار ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2010م.

40 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، آدم ونوح، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

41 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، ادريس ويعقوب ويوسف، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

42 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، أيوب وذو الكفل واليسع والياس، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

43 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، موسى وهارون وعيسى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

44 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، يونس وزكريا ويحيى، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

45 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ولوط، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

46 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، هود وصالح وشعيب، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

47 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، داوود وسليمان، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

48 ـ صفات الأنبياء من قصص القرآن، النبي محمَّد، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

49 ـ موسوعة صفات الأنبياء من قصص القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

50 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2010م.

51 ـ التطرُّف من التهيّؤ إلى الحلّ، المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

52 ـ ألسنا أمةً وسطا، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

53 ـ المنهج وطريقة تحليل المضمون، ابن كثير، دمشق ـ بيروت، 2011م.

54 ـ الإرهاب (بين قادحيه ومادحيه) المجموعة الدولية للطباعة وانشر، القاهرة، 2011م.

55 ـ الخوف وآفاق المستقبل، المجموعة الدولية للطباعة والنشر، القاهرة، 2011م.

56 ـ سُنن التدافع، شركة الملتقى للطباعة وانشر للطباعة والنشر، بيروت: 2011م.

57 ـ خريف السُّلطان (الرَّحيل المتوقّع وغير المتوقّع) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

58 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم إقداميّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

59 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تدبّرية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

60 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وثوقيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

61 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تأييدية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

62 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم مناصرة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

63 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم استبصارية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

64 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تحفيزية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

65 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم وعظية) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

66 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم شواهد) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

67 ـ من قيم القرآن (قيم مرجعيّة) شركة الملتقى للطباعة وانشر، بيروت، 2011م.

68 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسليمية) شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

69 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تسامح)، شركة الملتقي للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

70 ـ من قيم القرآن الكريم (قيم تيقُّنيّة)، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2011م.

71 ـ الرفض استشعار حرية، دار الملتقى، بيروت، 2011م.

72 ـ تقويض القيم (من التكميم إلى تفجّر الثورات)، شركة الملتقى، بيروت، 2011م.

73 ـ ربيع النَّاس (من الإصلاح إلى الحلّ) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2011م.

74 ـ موسوعة القيم من القرآن الكريم، شركة الملتقى للطباعة والنشر، بيروت، 2012م

75 ـ أسرار وحقائق من زمن القذافي، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، ودار المختار طرابلس، 2013م.

76 ـ وماذا بعد القذافي؟ المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

77 ـ ثورات الرّبيع العربي (ماذا بعد؟) المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2013م.

78 ـ العزل السياسي بين حرمان وهيمنة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

79 ـ السياسة بين خلاف واختلاف، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 3014.

80 ـ الهويّة الوطنية بين متوقّع وغير متوقّع، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014.

81 ـ العفو العام والمصالحة الوطنية، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

82 ـ فوضى الحلّ، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، القاهرة، 2014م.

83 ـ بسم الله بداية ونهاية، القاهرة، الزّعيم للخدمات المكتبية والنشر، 2015.

84 ـ من معجزات الكون (خَلق ـ نشوء ـ ارتقاء)، المجموعة الدولية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2016م.

85 ـ مقدّمة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

86 ـ موسوعة الأنبياء من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

87 ـ آدم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

88 ـ إدريس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

89 ـ نوح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م 89 .

90 ـ هود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

91 ـ صالح من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

92 . لوط من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

93 . إبراهيم من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

94 . إسماعيل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

95 . إسحاق من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

96 . يعقوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

97 . يوسف من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

98 . شعيب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

99 . أيوب من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

100. ذو الكفل من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

101 . يونس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

102 . موسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

103 . هارون من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

104 . إلياس من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

105 . اليسع من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

106 . داوود من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

107 . سليمان من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

108 . زكريا من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

109 . يحيى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

110 عيسى من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

111 . محمّد من وحي القرآن والسنّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م.

112 . الدّعاء ومفاتيحه، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2017م.

113 . صُنع المستقبل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

114 . الفاعلون من الإرادة إلى الفعل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

115 . مبادئ التنمية البشريَّة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

116 . من الفِكَر إلى الفِكْر، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

117 . التهيؤ، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

118 . منابع الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

119 ـ الأمل، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2017م

120 ـ المبادئ الرئيسة للسياسات الرّفيعة، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة، 2018م.

121 ـ تحدّي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

122 ـ الواحدية من الخلق إلى البعث، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

123 ـ مبادئ تحدي الصعاب، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

124 ـ المعلومة الصائبة تصحح الخاطئة (من الخوف إلى الإرهاب) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

125 ـ الممكن (متوقّع وغير متوقّع) مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

126 ـ مبادئ فكّ التأزّمات، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

127 ـ الأهداف المهنيّة ودور الأخصائي الاجتماعي، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

128 . تصحيحا للمفاهيم (فاحذروا)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

129 . العدل لا وسطية ولا تطرف، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

130 . غرس الثّقة (مبدأ الخدمة الاجتماعيَّة)، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، القاهرة 2018م.

131 . مفاهيم الصّلاة والتسليم على الأنبياء، مكتبة الخانجي، القاهرة، 2018م.

132 . الخدمة الاجتماعيَّة (قواعد ومبادئ قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

133 – كيفيَّة استطلاع الدراسات السَّابقة مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

134 – الخدمة الاجتماعيَّة (تحليل المفهوم ودراسة الحالة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

135 – الخدمة الاجتماعيَّة (مبادي واهداف قيميَّة) مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

136 – الخدمة الاجتماعيَّة (مفاهيم مصطلحات)، مكتبة المصرية، القاهرة، 2018م.

137 – التنمية البشريَّة (كيف تتحدّى الصّعاب وتصنع مستقبلًا)، مكتبة القاضي، القاهرة، 2018م.

138 - مبادئ الخدمة الاجتماعيَّة (تحدّي الصّعاب وإحداث النُّقلة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

139 _ الإرهاب بين خائف ومخيف، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

140 _ التطرُّف من الإرادة إلى الفعل، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

141 _ البحث العلمي (المنهج والطريقة) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2019.

142 _ العدل ينسف الظلم، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

143 _ تقويض الإرادة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

144 _ القوَّة تفكّ التأزُّمات، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

145 _ إحداث النُّقلة تحدٍّ، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

146 _ نيل المأمول قمَّة، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

147 _ نحو النظريَّة خلقًا، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

148 _ نحو النظريَّة نشوء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

149 _ نحو النظريَّة ارتقاء، مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

150 – الخلاف (في دائرة التَّاريخ) مكتبة القاضي، والمصرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 2020.

151- القواعد المنهجية للباحث الاجتماعي والقانوني، القاهرة: دار القاضي، 2220.

152 – قواعد البحث للعلوم الاجتماعيَّة والإنسانيَّة، 2020م.

153 – خطوات البحث العلمي وصناعة الأمل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

154 – المنهج العلمي وإحداث النُّقلة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

155- دراسة الحالة ودور الأخصائي الاجتماعي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

156- قواعد البحث العلمي وصنع المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

157- وسائل التأهب للبحث العلمي، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

158- حلقات صناعة المستقبل، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

159- أمحمَّدٌ أميٌّ، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

160- طرق البحث العلمي ونيل المأمول، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

161- الطريقة العلميَّة لتحليل مضمون القيم، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2021م.

162-كسر الوهم، القاهرة: مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

163- معجزات وبعضها من بعض، المصرية، القاهرة: 2022م.

164 . أيد السارقِ تقطع، المصرية، القاهرة: 2022م.

165 – العقل من اللاشيء إلى الشيء دراية، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

166 – النُّقلة من التكيف إلى التوافق، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

167 – أوهام الأنا (اللاهويَّة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

168 – استرداد السِّيادة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م

169 – موت الموت، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

170 – العقل قيد (من الأمّية إلى الاستنارة)، مكتبة القاضي، القاهرة: 2022م.

171 – الرِّجال القوامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

172- الدِّراية من الأمر إلى الطاعة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

173- النشوز والقيم القوَّامة، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

174 – استطلاع الدراسات السابقة (من حيرة الباحث إلى نيل المأمول)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

175 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (قواعد ومبادئ)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

176 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة، (غرسُ ثقة، تحدّي صِعاب، إحداثُ نُقلة)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

177 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الدور المهني للأخصائي الاجتماعي)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

178 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (من التكيّف إلى صنع الأمل)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

179 – الخدمة الاجتماعيَّة النّاهضة (مجالاتها عمليَّاتها وسائلها)، المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

180 – الشَّخصيَّة (من الترجّي إلى التحدي)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

181 – الشَّخصيَّة الليبيَّة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

182 – الشَّخصيَّة المتهيّأة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

183 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (دراسة الحالة من النشوز إلى قطع اليد)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

184 – الشَّخصيَّة المتأهِّبة، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

185 – الانحراف من النّشوز إلى الضَّرب، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

186 – التدبُّر، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

187 – التفكير (من التذكّر إلى التفكّر)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

188 – الاستنارة (من الاستظلام إلى الاستجلاء)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

189 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (من إنجاز الأهداف إلى نيل المأمولات)، المصريّة للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

190 – الخدمة الاجتماعيَّة الناهضة (المستويات القيميَّة للتحليل العلمي)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

191- الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (الأهداف المهنيَّة وإحداث النُّقلة)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

192 – الخدمة الاجتماعيَّة النَّاهضة (تحدي الصِّعاب يمكن من بلوغ الغايات)، الدار المصرية للطباعة والنشر، القاهرة: 2022م.

المؤلّف في سطور

أ د. عقيل حسين عقيل

مواليد ليبيا 1953م

بكالوريوس آداب 1976م بدرجة الشّرف الأولى جامعة الفاتح (طرابلس).

ماجستير تربية وتنمية بشريَّة، الولايات المتحدة الامريكيَّة (جامعة جورج واشنطن) 1981م مع درجة الشّرف.

. دكتوراه في الخدمة الاجتماعيَّة.

. أستاذ بجامعة الفاتح كلية الآداب (طرابلس).

. شغل منصب أمين تعليم بلدية طرابلس (1986 . 1990).

. انتخب من قبل مؤتمر الشعب العام مفتشا عامًّا لقطاع الشؤون الاجتماعيَّة، ثمّ كلّف بالتفتيش على وزارتي التعليم العام والتعليم العالي 2006م.

. شغل منصب أمين التعليم العالي (وزيرًا) 2007 . 2009م.

. انتخب أمينًا عامًّا للتنمية البشريَّة بأمانة مؤتمر الشّعب العام 2009م.

. صدر للمؤلّف 92 بحثا نشرت داخل ليبيا وخارجها.

. صدر له (192) مؤلّفًا منها ستة موسوعات.

. أشرف وناقش 83 رسالة ماجستير ودكتوراه.

. مجالات اهتمام المؤلف البحثيَّة:

1 . الخدمة الاجتماعيَّة والتنمية البشريَّة.

2 . طرق البحث الاجتماعي.

3 . الفكر والسياسة.

4 . الإسلاميات.

5 . الأدب

تُرجمت ونشرت له مؤلّفات باللغة الإنجليزية والتركية.

الموقع الإلكتروني: (موقع الدكتور عقيل حسين عقيل)

أو: https://draqeel.com/